مطارحات في الفن والجمال

للعلامة السيّد عبد الكريم فضل الله

إعداد وبحث
الشيخ محمّد طه

دار المحجة البيضاء

مطارحات في
الفـنّ والجمـال

الكتاب: مطارحات في الفنّ والجمال
للعلاّمة السيّد عبد الكريم فضل الله
إعداد وبحث: الشيخ محمّد طه
إخراج الكتاب: سليم المقدم

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة: الأولى تشرين الثاني 2014م - محرّم 1435هـ

ISBN: 978-614-426-345-7

دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الرويس - خلف محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧

E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com
info@daralmahaja.com

مطارحات في الفنّ والجمال

للعلاّمة السيّد عبد الكريم فضل الله

إعداد وبحث

الشيخ محمّد طه

دار المحجّة البيضاء

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله الطيّبين الطاهرين

الجمالُ دعوةٌ إلى الفنّ...

والفنُّ دعوةٌ إلى الحبّ...

والحبُّ دعوةٌ إلى الحياة...

بين السَحَرِ والشفق وعلى ضفاف الينابيع المتدفّقة، ومن قطرات الشلاّلات العذبة، تولد روحُ الفنّان، يرسم بفطرته وجوده السامي، فيحمل روحه على ريشةٍ ناعمة يعايش لحظةَ من جمال، فيرنّم أنشودة الحياة، فينام السكون، ويستيقظ المفتون، بروعة سحر العالم المكنون، صنعته يدٌ إلهيَّة عظيمة.

فمن فطرة الإنسان يولد الفنّ وحبّ الجمال، فليس الفنّ كما يقال تقليداً للطبيعة، بل هو وليد اللقاء بين الجمال والحب، والخير والكمال، وهو على مستوى ألطف ممّا يُرى ويُسمع، إنه كطلوع الفجر، تحمله شمس القلب، بهدوء وثقة، رغم ظلام الخانعين بفنّ الظلام، فتُغمر مزرعة الإنسان الكبيرة بالدفء والحرارة فتكون المواسم.

وإذا كان الفنّان يرى مَثَلَهُ الأعلى في «الجمال»، والفيلسوف في «الحقيقة»، والأخلاقيّ في «الخير»، والمؤمنون في نبيّهم، فإنّ النبي يرى مثله الأعلى في ربوبيّة الله تبارك وتعالى.

ومن هنا، فإنّ الحديث عن الفنّ والجمال يعدو أن يضيق بكلمات عبّر بها شاعر أو أنشأها متكلّم، بل هو بمستوى الحديث عن الروح التي تشبّعت بالمعاني الرقيقة، فظهرت كورود في مروج الطبيعة الفسيحة، تتنزّه فيها بالجسد، فهما تعبير ينشد الحياة المثاليّة للإنسانيّة، وتجسيد للحياة الواقعيّة.

إنّ الفنّ والجمال يكشفان الظلم، ويُظهران الإنسان على حقيقته في شتّى المواقف في المسرح، والشعر، واللوحة، والموسيقى، والإنشاد من جهة، والعبادة والصلاة والصيام من جهة أخرى، فالفنّ والجمال تعبيرٌ عن وصال بين الربّ وعباده، وبين العباد أنفسهم.

نعم، فالجمال والفنّ الحقيقيان هما ولادة إلهيّة متجدّدة بيد إنسانيّة وروح سامية، ولهذا يقول الشاعر:

جَمَالُ الرُّوحِ ذَاكَ هُوَ الجَمَـالُ تَطِيبُ بِهِ الشَّـمَائِلُ وَالخِلالُ

تكمن أهميّة هذا الكتاب من خلال الموضوع الذي تمّ معالجته فيه، وهو بمستوى فائق من الحذر والتنبّه، إذ يشكّل الفنّ والجمال حديثاً يوميّاً للإنسان بشتّى انتماءاته ومشاربه، في المنزل، والعمل، بل الحياة.

ولا يخفى على عاقل مستوى الهجمة الشرسة على الحالة الإسلامية بعناوين مختلفة تطال الأطفال فضلاً عن الكبار، والمرأة والرجل على السواء، من هنا فإنّ الحديث عن هذه القضية المترابطة - الفنّ والجمال - غاية في الأهميّة، وهذا ما دعى بسماحة العلاّمة السيّد عبد الكريم فضل الله في مقابلته التلفزيونيّة على شاشة «قناة المنار اللبنانيّة» في برنامج «الكلمة الطيبة» ليتحدّث عن هذا الموضوع.

وفي هذا الكتاب كان الحرص على:

أولاً: إظهار تلك الحلقة التلفزيونيّة بهيئة مكتوبة لما تحويه من فائدة تجدها بصورة جليّة عند مطالعتك لهذه الصفحات.

ثانياً: بلورة قضيّة الفنّ والجمال بمنطلق إسلاميّ أصيل بمقارنة مع الاتجاهات القديمة والحديثة، وهذا ما حرص عليه سماحته دام حفظه.

ثالثاً: الإعتماد على الشواهد القرآنيّة والروائيّة لأهل البيت، فضلاً عن الأدعية المرويّة عنهم عليهم السلام.

رابعاً: عرض الأراء الغربيّة حول «الفنّ والجمال» والتعليق عليهم بالكيفيّة والصورة المطلوبة.

خامساً: محاولة استنطاق بعض النصوص الروائيّة والآيات القرآنية والأدعية والصلوات بمنطلق فنّي إسلاميّ، ما أظهر حجم وضخامة هذا الإرث.

وقد بوّبنا هذا الكتاب ببابين:

الباب الأول: محوره الفنّ

حيث يدور الحديث فيه بسبعة فصول، حول مفهوم الفنّ، والنظريات المطروحة حوله والموقف

الشرعي الفقهي الإستدلالي.

الباب الثاني: محوره الجمال

ويدور الحديث فيه أيضاً بسبعة أبواب، تتدرّج من المفهوم إلى الموقف الإسلامي من خلال الرؤية الإعتقادية والقرآنيّة والروائيّة والشواهد الحاكية عنه.

وما التوفيق إلاّ من عند الله تعالى...

الضاحية الجنوبيّة - بيروت

بتاريخ 2 محرّم 1435هـ، الموافق 6 تشرين الثاني 2013م

محمّد فوزي طه

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيّدنا ونبيّنا محمّد بن عبد الله وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين والدعاء لأصحابه الميامين وللعلماء والمخلصين والعاملين لخير البشريّة أجمعين.

اللهم لك الحمد في عليائك، تمجّدت في جمالك، وتباركت في حسنك، حتى مدحت نفسك فقلت: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[1]، وخلقتَ الإنسان في ﴿أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[2].

فمن صفاتك الجمال، ولكن أيّ جمال؟

إنّه الجمال المطلق بكل أنحائه، ينشدُّ إليه البشر بفطرتهم، حتّى جعله شيخُ الفلاسفة المتأخرين صدر المتألهين الشيرازي رحمه الله دليلاً كاملاً على وجودك وخلقك يا ربّ، لأنّه رأى أن البشر يعشقون المطلق، وينشدّون إلى القدرة المطلقة، والعلم المطلق، والصنع المطلق، وو...، ومنها الجمال المطلق، وهو أنت يا ربّ، لأنّ صفاتك عين ذاتك، ليتساءل صدر المتألهين بعد ذلك وهل يوجد حبّ بلا محبوب؟!!..،

أو عشق دون معشوق؟!!..

من هنا ورد في دعاء السحر المعروف بدعاء البهاء الذي يبدأ بقوله: «اللهم إنّي أسألك من بهائك بأبهاه وكلّ بهائك بهيّ، اللهم إنّي أسألك ببهائك كلّه...»، ثمّ يعدّد جملة من صفات الله ومنها الجمال المطلق: «اللهم إنّي أسألك من جمالك بأجمله وكلّ جمالك جميل، اللهم إنّي أسألك بجمالك كلّه...».

والله جلّ جلاله هو المطلق، والإنسان هو المحدود، وعندما ينسى الإنسان محدوديّته

---

(1) سورة المؤمنون، الآية: 14.

(2) سورة التين، الآية: 4.

يتوهّم أنّه أصبح إلهاً فيقول كما قال فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾[1].

وبعد..

فقد كانت «مطارحات في الفنّ والجمال» من المنظور العلمي والإسلامي، في النصوص، والتشريع، والسلوك، والشعر، والدعاء، والقرآن، في الخالق والمخلوق، استحسنها الجمهور، ممّا دفع الأخ العزيز الشيخ محمّد طه وهو شاعر وأديب أن يجعلها مادة في كتاب، بياناً وتوسيعاً وتعليقاً، فكان له ذلك، وكان هذا الكتاب، فبارك الله له بيمينه، ونفع الله الأمّة بيراعه، ورزقه خير الدارين، الدنيا والآخرة، مع خالص الدعاء وطلبه.

بيروت بتاريخ 1 محرّم 1435هـ،
الموافق 5 تشرين الثاني 2013م

عبد الكريم فضل الله

(1) سورة النازعات، الآية: 24.

الباب الأول

الفنّ قراءة علميّة وفقهيّة

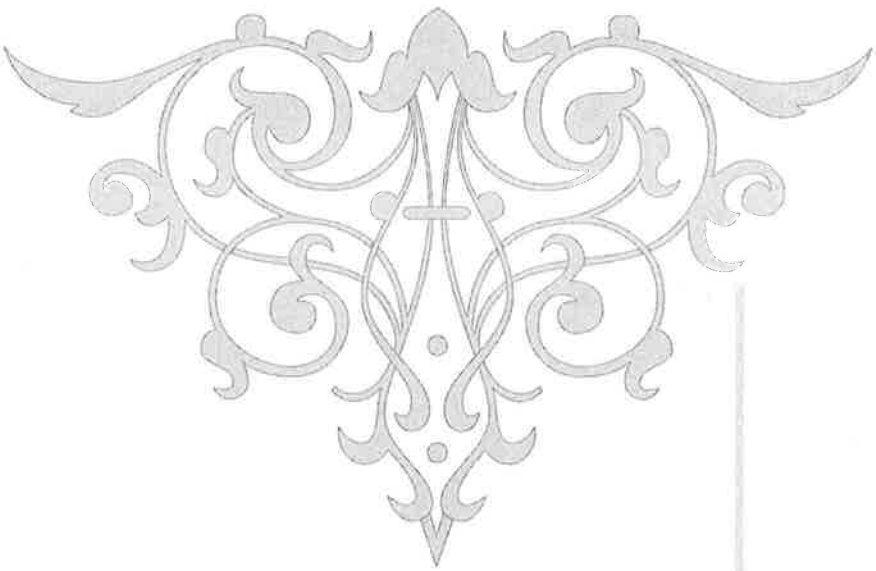

الفصل الأول

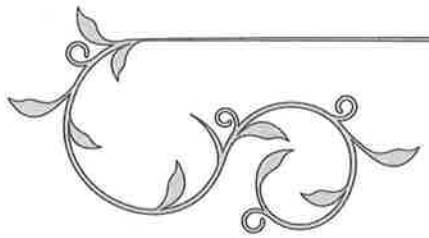

مقدّمات تأسيسيّة

أولاً: مفهوم الفنّ

ثانياً: الفنّ أو أكذوبة الفنّ!!

ثالثاً: الفنّ.. دينٌ جديد ورسول الخلاص !!

رابعاً: عيّنات من واقع الفنّ

خامساً: قوّة العقل أم الفنّ المبتذل؟

سادساً: اللصّ وزائر محبّ...

سابعاً: أيُّ فنّ نريد؟

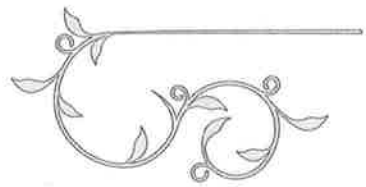

مقدّمات تأسيسيّة

أولاً: مفهوم الفنّ

لا شكّ أن كلمة «الفن» لا يمكن تعريفها تعريفاً جامعاً مانعاً - وإن كان هناك تعاريفاً متعددة -، غير أنّها لا تعبّر عن حقيقة وماهية الفنّ صدقاً، والفن مجملاً حالة معنوية يمكن تعريف خواصّها وآثارها فقط، بخلاف الماهيّة، فهي - الحالة المعنوبّة للفنّ - مثل روح الإنسان التي من غير الممكن تعريفها وإنّما بإمكاننا بيان آثار وخواص الروح فقط.

جاء في «مختار الصحاح» أنّ الفنّ عند أهل اللغة هو النوع، وجمعه: الفنون؛ أي: الأنواع، والأفانين: الأساليب، وهي أجناس الكلام وطُرُقه، ورجل متفنِّن؛ أي: ذو فُنُون.

وعلى ما ذكر في الاصطلاح، أنّ الفن يُطلق عموماً على كلّ عمل إنساني يحتاج إلى مهارة خاصّة، ودربة وإتقان في إنجازه، ومن ثَمَّ فالإنتاجُ الصناعي بكلِّ أنواعه يُعَدُّ فنًّا، والزراعة تُعد فنًّا، وكذلك سائر ألوان الحرف والمهن التي تحتاج إلى خبرةٍ وإتقان، لكن الفنونَ التعبيرية استأثرتْ بهذا المصطلح دون سواها من الفُنُون سواء التعبيريَّة أم غيرها، ونعني بالفنون التعبيرية: الشعر، والرسم، والموسيقى، والغناء، والرقص، لارتباط هذه الفُنُون بالغاية الجماليَّة دون الغايات النفعيَّة.

ثانياً: الفنّ أو أكذوبة الفنّ

قوّة الفن بشارة كاذبة أطلقها اتباع الإنحطاط والهزيمة الروحيَّة والإنتكاسة الحضارية، حيث انبرت طائفةٌ من النَّاس تسوّغ الأمر الواقع، وتبشِّر بغدٍ مزْدَهر، ليس بإشاعة أسباب القوَّة وعوامل النهْضة المتكاملة، وإنَّما بإشاعة الفنِّ باعْباره المقوّم الأوَّل في الحياة وعنصر الإنتصار، وراح من يسمَّون فنانين وفنَّانات يروّجون للأمة بملْء أرجائها وأوقاتها الغناء والرَّقْص والنَّحت، وما يُصاحب ذلك من مُيوعة وتَخنُّث، وإهْدار للطَّاقات في الفساد الفِكْري

والخُلُقي، فانْسحب ما لا يُحصى من الشباب والفتيان من ميادين العمل والبحْث والإنتاج المادِّي والمعنوي، وأفتَوا شبابَهم في التسكُّع الفارغ، والعيش على حساب الجماهير المخدَّرة، وخزينة الدَّولة المِعْطاءة، ينتقمون للهزائم بمزيدٍ من الغِناء، ويعوِّضون عن التخلُّف والفقْر، والمرَض والجوع بمزيدٍ من الطَّرب، وهزِّ البطون، وإلْهاب الشَّهوات.

تضافرت المؤامرات الخارجيَّة، وحِيل الأنظمة، والدسائس، وتوجيه اهتمامات الشعوب نحو الهوامش والتَّوافه، والشَّواغل التي تكرِّس الرَّداءة في الثَّقافة، لتستمرَّ الأوْضاع على حالِها، بل ليصيب المجتمع اليأس من عوْدة الأمْجاد وبناء مستقبل زاهر.

هكذا أُريدَ للفن أن يكون مخدِّرًا وعاملَ إلْهاء عن الاشتْغال بأسباب القوَّة وعوامل النَّهضة، وقد طغى على الساحة الإسلاميَّة - والعربيَّة خاصَّة - سيلٌ من الثَّقافة المأجورة، يملأُ ليل الناس ونَهارهم بأخبار الفنانين، ويقيم للفنِّ تَماثيلَ وأصنامًا، ويُغْري الجماهيرَ بالرُّكوع لها، باعتبارِها عواملَ الإنْقاذ باسم الإنسانيَّة والذَّوق الرَّفيع والانفتاح الحضاري، وكأنَّ عبادة الأصنام عادت من جديد ولكن بصورة خفيَّة تزيّنت بالجمال والفنّ المدّعى والمزيّف.

ثالثاً: الفنّ.. دينٌ جديد ورسول الخلاص !!

في المجمل فإنَّ الجرائد والكتب والصحف والمجلات والحصص الثَّقافية تكاد تنحصر مهمَّتُها في التَّبشير بالفنِّ، كأنَّه دين جديدٌ، يعوِّض رسالات السَّماء، ويقضي على الشَّقاء في الأرض، حتَّى إنَّ القنوات المسموعة والمرئيَّة يحتلُّ فيها الغناءُ والحديثُ عن الفنِّ النِّسبة الكبرى من أوْقات البثِّ، وتبعًا لذلك اصطنعت النجوميَّة المزيَّفة؛ لتكون بديلاً عن العمل الجادِّ، وإلاَّ فكيف نفسر اهتمام الأنظمة والمجتمع المدني بالمطرب والرَّاقصة، في حين نعرف جميعًا مدى التقدير الذي يحظى به العلماء الدُّعاة إلى الله تعالى؟!...

يكاد الأمر يتلخَّص في صنْع قدوات سيِّئة للشَّباب للحيلولة دون نشأَته على قِيَم العِلم والعمَل والجهاد، وكسْر طوق التَّخلُّف وإقامة خلافة الله في الأرض، والأدلَّة على ذلك لا تُحصى، ولوْلا عناية الله تعالى وتجذُّر الإيمان عند بعض الأمَّة، لقضي على علماء الدين والإسلام، حتَّى لا يبقى في الساحة إلاّ أصحاب الغِناء الفاحش والتَّمثيل المبتذَل، وهو هدفٌ لا يَخجل أدْعياء الفنِّ من التَّلميح إليْه، وربَّما التَّصريح أيضًا، وكثير ما نسمع أخبار هؤلاء سواء تلك المُقابلات

التي تجرى مع مطربٍ بذيءٍ، أو راقصةٍ خليعة، أو مُمثِّلة ينحصر فنُّها في كشْف المفاتن، وصور الإثارة، وهم يتكلَّمون وكأنَّهم رسل الخلاص الإنساني.

هذا الفنُّ أكذوبة، وهذه الرِّسالة المزعومة للفَنِّ حقيرة، يُلْهِي بِها أصحابُ المصالح وأصحاب الانحرافات الفكريَّة والخلقية ولوصوص الثروات وزعماءُ الفساد العالمي توجُّهاتِ الشُّعوب وأخلاقَها، وهذا الفنُّ المبتذل يشكِّل عند الاستراتيجيِّين بديلاً عن طموح المجتمع بل الأمَّة في التَّحرُّر الحقيقي والرقيِّ والاحتِماء بالأصالة، والإنطلاق منها إلى مدارج السؤدد.

رابعاً: عيّنات من واقع الفنّ

هناك الكثير من العيِّنات تؤيِّد طرْحَنا وفي السياق يمكن طرح ما يلي:

فبعد هزيمة 1967 النَّكراء: أحسَّت القوميَّة العربيَّة بانْهِيار عرْشها، فاستنجدتْ بالفنِّ لرفْع معنويَّات العرب، والتَّعْويض عن النَّكْسة، وروَّجت له الأوْساط الفنِّيَّة والثَّقافيَّة والإعلاميَّة على أوسع مستوى وأوسع نطاق، باعتبارها أعادت الأمل للجماهير العربية، حتّى وصلت العدو العسكريّة إلى بعض الساحات العربيّة على وقع غناء الصالات والمسارح الكبرى، ولكن إلى أين!!... وأين الجميع؟؟... نعم إنّهم مطروبين!!...

وفي حديث إذاعي: يقول أحدَ شيوخ المالوف[1] وهو يتباكى على الشَّباب، ويُطالب الدَّولة بالاهتِمام بشأْنِه وتَحصينه من الضياع، والحال يشير إلى أنه قد تاب فيقول مقترحاً بضرورة فتح مزيد من المعاهد الموسيقية، وتيسير سبُل الفنّ.

إذن.. الحل عنده بفتح المعاهد الموسيقيَّة وتيسير سبُل الفن!!.. هذا كلُّ شيء!...

أمَّا ثالثة الأثافي: فتتمثَّل في حضور أحد الفنَّانين السَّاخرين مؤتَمرًا فكريًّا في إحدى بلدان الدول العربيَّة العريقة - منذ سنوات - لمناقشة قضايا التطرُّف، وقد عامله المفكِّرون الحاضرون بِما يستحقُّ؛ إذ انسحبوا من النَّدوة؛ لأنَّ الأهواء لا تُناقش في مثل هذه الساحات.

إنَّ كلَّ هذا يدخُل في إطار الاستراتيجيَّة التي ذكرنا، والهادفة إلى خِدْمة الأغراض التخريبيَّة بواسِطة فنِّ الإبتذال.

---

(1) نوع من الموسيقى.

خامساً: قوّة العقل أم الفنّ المبتذل؟

إنّنا لم نسمع بأمّة هزمت أخرى بالفنّ، ولكن تَهزمها بالقوّة، ومن التَّضليل اعتبار الفنّ من عناصر القوّة فقط، فها هو العدو الإسرائيلي لم يعدّ لغزْونا وإذلالنا وإلحاق الهزيمة بنا فِرقًا من الرَّاقصات والمغنِّيات والفنَّانين، ولكنَّه أعدَّ لنا فرقًا من المختصين، وفيالقَ من الجيوش البرِّيَّة والجويَّة والبحريَّة، وألوانًا من الأسلحة. لكنَّنا أمَّة تحتاج في الدَّرجة الأولى إلى ما يُلْهِب إيمانها، ويقوِّي أخلاقها، ويفتح عقلها، ويفتل سواعدها؛ ليدفع عنْها خطر الإبادة، ويكسر طوق التخلُّف، وها هو ذا التَّاريخ يشهد أنَّ نَجمنا لم يأفُل إلا يوم سطعتْ نجوم المغنِّين، وقويت دولة الرَّاقصات في حضارتنا، فكيف نكاد اليوم نَستغني عن العُلماء في المختبرات، والمخترعين في الصناعات، والأبطال في الحروب، والأقوياء في الإيمان والأخلاق، لينصبَّ همُّنا على خلْق النجوم؟! يتكلَّمون بكلِّ وقاحةٍ عن الإبداع، فأي إبداع في أدب الجنس؟! أيُّ كفاحٍ فيه وأيَّة تضحية؟! أليس هو صنعة الكُسالى الأنانيِّين، الذين لا يقدِرون على أدب النَّفس الذي فيه روْعة الإبداع، وتعَبُ الكِفاح، وشرف التَّضْحية؟!

يتكلَّمون عن الحريَّة، لكن كيف أترك من يحمل معولاً ليهدم بيتي يُتِم عمله باسم الحريَّة؟! إني آخُذ على يده باسم الحقِّ، ولا أدعه يتلذَّذ بمناظر الخراب باسم الفنِّ، ولكن أجرِّعه مرارة العقاب.

سادساً: اللصّ وزائر محبّ!!

ما الفرق بين لصٍّ يتسلَّل إلى بيْتي باسْم زائرٍ محبٍّ، فيسرق أغلى ما فيه، وبين فنَّان أو أديبٍ يتسلَّل إلى عقْل ابنْتي أو زوْجتي باسم فنَّان بارع أو أديب مفكِّر، فيسلب منه أثْمن ما فيه؟!.

لماذا يسجنوننا، ويُطْلِقون الحريَّة للصوص الشَّرف والسَّعادة الزَّوجيَّة والعائليَّة؟!

هل من المعقول أن تترُك الأمَّة هؤلاء العابثين، يسجِّلون في التاريخ أنَّهم كانوا من المعبِّرين عن آمالها وأهدافها، في حين لا يُحسِنون إلا الطوافَ باللَّذائذ الجنسيَّة، والحلم بسرقة شرف البنات والزوجات، وخيانة الآباء والأزْواج؟!

سابعاً: أيُّ فنّ نريد؟

إنَّ دعاة الانْحلال يتكلَّمون بالشَّهوات، وينسجمون مع مجون الحضارة الغربيَّة، الفرق بيننا وبينهم:هم يحتكمون إلى الفنّانات ونحن نحتكم إلى العقل والشَّرع،

هم مع الأهْواء ونحن مع المبادئ،

هم مع الفنِّ الهابط ونحن مع الفنّ الراقي،

هم يقدِّسون الفنّ ونحن نعرف الأولويَّات،

وبينما هم في سكْرتِهم غافلون، نعلم نَحن أنَّ العقل يبني المجتمع من حيث يخربه الهوى.

فهل تكون العاقبة لنا أم للمنحلِّين، والمتآمرين، والكسالى، والمفتونين والفانيات؟

هذا بعض الفرق ممّا بيننا وبينهم، فانظر أيُّها القارئ وتأمّل، والحَكَمُ الله تبارك وتعالى، ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ × أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾[1].

(1) سورة التين، الآية: 8-7.

الفصل الثاني

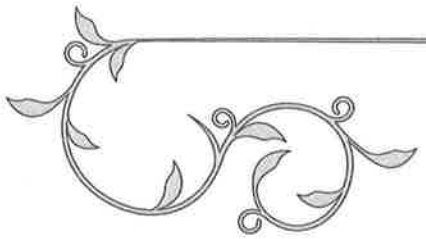

نظريّة الفنّ للفنّ

أولاً: قراءة في المفهوم

ثانياً: جذور وأصول النظريّة

ثالثاً: أبرز أسماء هذه النظريّة وأبرز دعاتها

رابعاً: الفكر الذي تتبنّاه نظريّة الفنّ للفنّ

خامساً: من رحم «الفنّ للفنّ»

سادساً: نظريّة «الفنّ للفنّ» إلى أين؟

سابعاً: نظريّة الفنّ للمجتمع

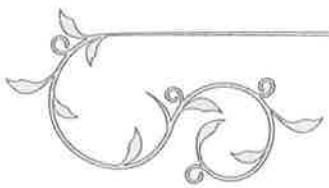

نظريّة الفنّ للفنّ

أولاً: قراءة في المفهوم

نظرية «الفنّ للفنّ» عموماً هي تجرّد الفنّ من أيّ ملابسات فكريّة أو فلسفيّة أو دينيّة «أيدلوجيّة»، وتنشد من الفنِّ، الفنَّ فقط، ويطلق أصحاب النظرية على ذلك بأنّه تخليص الأدب من النفعيّة والغائيّة.

ثمّ إنّ هذه النظريّة شاعت عموماً في الأدب، إذ يرى عدد من الأدباء بأنّ الأدب يجب أن يتحرر من أيّ قيمة يمكن أن يحتويه الكلام إلاّ قيمة الجمال، وألا يُنظر فيه إلى معايير خلقية أو دينية أو قيم نفعية، «فمهمة الأدب نحت الجمال، ورسم الصور والأخيلة الباهرة، من أجل بعث المتعة والسرور في النفس، فليست مهمة الأدب أن يخدم الأخلاق، ولا أن يُسخَّر لقيم الخير أو المجتمع، إنّه هدف في حد ذاته، ولا يُبحث له بالتالي عن أي هدف خُلقي أو غير خُلقي، فحسبه بناء الجمال ليكون بمثابة واحة خضراء يُستظلُّ بها من عناء الحياة»[1].

إنّ «الفنّ للفنّ» ضربٌ من الفلسفة اللادينيّة القائمة على نبذ القديم - بما في ذلك الدين والأخلاق- وعدم التقيّد به في الأدب، وهو مذهب ثائر على «الرومانسية» التي تذهب إلى أن الأدب والشعر خاصة فنّ ذاتي يعرض للعواطف والانفعالات الإنسانية والتعبير عنها من خلال الأدب، فالرومانسية تعتبر الأدب وسيلة للتعبير عن الذات، والفنّ للفنّ مذهب الجمال، الذي يرى الفنّ والأدب غاية في حد ذاته ومطلوباً لذاته[2].

«الفنّ للفنّ» مذهب يهدف إلى جعل الشعر والأدب فنّاً موضوعيّاً في ذاته، همّه استخراج الجمال ونحته من مظاهر الطبيعة، أو خلعه على تلك المظاهر.

---

(1) قصاب، وليد، في الأدب الإسلامي، ط1، دبي، دار القلم، 1419هـ، ص 87.

(2) البرناسية «مذهب الفنّ للفنّ»، الندوة العالميّة للشباب الإسلامي، الموقع الإلكتروني لصيد الفوائد: www.saaid.net

كما يهدف المذهب أيضاً إلى التحلّل من أيّ عقيدة أو فكر أو أخلاق موروثة، وعدم انعكاس ذلك على العمل الأدبي أو لمح ذلك فيه[1].

ثانياً: جذور وأصول النظريّة

بُحثت قضية الفنّ وغرضه في القديم والحديث، وكثر الجدل بشأنها، واختلفت الآراء في تلك الوظيفة، وأهم الآراء وأساسها رأيان هما:

الرأي الأوّل: رأي يذهب إلى أن الفنّ والأدب وظيفته ومهمته الأساس هي التهذيب والتربية والتعليم، وهي غاية تُلحظ في اصطلاح: «أدب» و«تأديب» و«مؤدِّب» التي يدور معناها حول التهذيب.

وهو رأي غالب في ثقافتنا العربية، أو حتى عند الأمم الأخرى في القديم وحتى العصر الحديث.

الرأي الثّاني: ويرى آخرون أنّ الأدب والفنّ نوع من الترفيه والتسلية، وهو بهذا المفهوم لا يحتمل أن يقوم بوظيفة، ولا يطيق أو يقوى على حمل رسالة أو توجيه، فهو ضرب من النشاط المطلوب لذاته، وجنس يقوم على الجمال ويقوم له وينعقد من أجله.

وبمراجعة تاريخية نجد أنّه وحين سقطت الإمبراطورية اليونانية الوثنية، وقامت على أنقاضها الإمبراطورية الرومانية النصرانية، سيطرت الكنيسة على شتّى أنواع النشاطات الإنسانية ومنها الأدب، وجعلتها خادمة للنصرانية وقيمها الفكرية والأخلاقية، وشددت النكير والعذاب على من خالف تلك السياسة أو حاول معارضتها.

وفي ظلّ تلك السيطرة ظهرت إشارات ذليلة، وإشادات صامتة بما للأدب من قيمة جماليّة، وأن تلك القيمة كبيرة الأثر عظيمة الفائدة، ومن أولئك القدّيس «أوغسطيوس» في كتابه «النظرية المسيحيّة»، حيث أشار إلى المتعة الفنيّة التي تذوّقها في اللغة التي كتبت بها نسخ الإنجيل.

وحين جاء القرن السابع عشر، وتخلّص الأوربيون من بعض سيطرة الكنيسة، ظهرت

---

(1) المرجع السابق.

أصوات تشيد بالفنّ من حيث هو مجال الجمال وموطن المتعة.

ورأى «كانت» أنّ الفنّ عمل يهدف إلى المتعة الجماليّة الخالصة، أيّ أنّه حر، لا غاية وراءه سوى اللذّة الفنيّة، دون ما قد يتلبَّس به من أفكار وفلسفات أو أخلاق أو قيم اجتماعيّة أخرى.

ومع مرور الزمن زادت حدة الانتقادات، وعلت أصوات الرفض للخدمة التي يقدّمها الأدب للمجتمع تثقيفاً وتعليماً وتهذيباً، وممن هاجموا تلك الوظيفة الأدبية والفنية: الشاعر «شيلي 1822م» و«ورد زورث 1850م»، وكذلك رواد المدرسة الرمزيّة أمثال: «بودلير 1867م»، و«مالا راميه 1898م».

وفي مطلع القرن العشرين أيّد النقاد هذه النظرية، وجعلوها ضرباً من الدفاع المستميت للوقوف أمام استخدام الأدب خادماً لأغراض أخرى نفعيّة مؤقتة.

وقد قام هذا المذهب في أوروبا - شأنه في ذلك شأن المذاهب الأدبيّة الأخرى - وبدأ في فرنسا ومنها رحل إلى بلدان أخرى مثل: ألمانيا وإيطاليا، ومن ثم أمريكا وغيرها من دول العالم.

وسَبَبَ قيامه في فرنسا يعود - في أغلب الظن - إلى قيام العلمانية في فرنسا، وثورتها المبكرة في وجه الكنيسة، كما أن للثورة الصناعية مدخليّة غير مباشرة في ذلك.

وقد وجِّهت لهذا المذهب انتقادات حادّة، وذلك لانحرافه عن العقل والوعي، وتعدّدت جهات التنديد والمعارضة، وممن انتقدها: «إليوت 1965م» الذي اتهم أصحاب هذا المنهج بقصر النظر، وأنه لا بدّ للشاعر والأديب من الالتزام، وأن غاية الشعر والنقد تُحتِّم على الشعر أن يُقدِّم للقارئ والمتلقّي نفعاً اجتماعياً ما.

ثالثاً: أبرز أسماء هذه النظريّة وأبرز دعاتها

ويطلق على نظريّة «الفنّ للفنّ» عدّة مسمّيات منها:

البرناسيّة: وقيل في سبب تلك التسمية: إنّها نسبة إلى جبل «البرناس» اليوناني، الذي تشير الأسطورة إلى أنّه جبل تقطنه آلهة الشعر، ومن ثمّ أخذت التسمية الصبغة الأدبيّة.

التعبيريّة: أو المدرسة التعبيريّة، وذلك بُعْداً بها عن الإشارة الأيدلوجيّة والارتباط الفلسفي، وهي تسمية شاعت في ألمانيا قبيل الحرب العالمية الأولى.

وممّن أيّد هذه النظريّة وتحمّس لها:

- كَانت (1804م): ويُعدّ مؤسس المذهب، وتخلّى عن نصرانيته واعتنق البوذيَّة.
- شارل بودلير (1821-1867م): وهو فرنسي نادى بالفوضى الجنسيَّة.
- تيوفيل جوتييه (1811-1872م).
- مالا راميه (1842-1898م): فرنسي، وهو من أشدّ المدافعين عن المذهب، ومن أعمدة المذهب الرمزي.

بَيدَ أنّ هذا المذهب وأخيراً ونتيجة للانتقاد الشديد، تقوقع على نفسه، وتراجع وانحسر في زاوية ضيّقة، غير أنّ أصوله وأفكاره شاعت في مذاهب الحداثة.

رابعاً: الفكر الذي تتبنّاه نظريّة الفنّ للفنّ

إنّ أبرز ما قامت عليه نظريّة «الفنّ للفنّ» هو فصل الفنّ - والأدب أحد أنواعه - عن الحياة، وبتر الصلة بين الفنّ والمجتمع وأفراده وبقراءة ناظرة فإنّ منطلقات وأفكار هذه النظريّة تعود إلى الآتي:

1. أنّ الأدب فنّ مطلوب لذاته، وهو فنّ - كغيره من الفنون - مسوّق لغرض الإمتاع وجلب التسلية، ولا وجه فيه للمنفعة والتهذيب، وهو إذ ذاك يستحق الدراسة لذاته لا لموضوعه.
2. يقول «كروتشه 1963م» عن العمل الفني: «لا يمكن أن يكون عملاً نفعياً... ليس الفنّان - من حيث هو فنّان - عالماً ولا فيلسوفاً ولا أخلاقياً... لا نستطيع أن نطلب منه إلاّ شيئاً واحداً هو: التكافؤ بين ما يُنتج وما يشعر به».
3. استبعاد التعليم والتوجيه عن الشعر والفنّ عامة، والاهتمام بالشكل والتعبير الأدبي أكثر من الاهتمام بالمضامين الأدبية أو الفنيّة، أي أنّ المعايير التي يُحكم على النصّ من خلالها معايير شكلية دون معايير أخرى.

4. إبراز النواحي الجمالية في الشكل الأدبي، ودراسة القيمة التعبيرية والشعورية، وبيان مدى قدرتها على نقل التجربة الفنيّة.

ويرى دعاة هذا المذهب والمدافعون عنه أنّ مجرد إيقاظ الحس الجمالي في نفوس الناس، يعني أداء دور اجتماعي مهم، لأنه متى أيقظ فيهم مثل هذا الحس فقد حملهم على حياة أفضل وأسمى.

5. الأفكار في الأدب غير مهمّة ولا يقينيّة.

6. تحطيم القديم وتدميره لبناء العالم الجديد الخالي من الضياع - حسب زعمهم -، والقديم في رأيهم هو كلّ ما ينطوي على العقائد والأخلاق والقيم.

7. يحقّق الإنسان سعادته عن طريق الفنّ لا عن طريق العلم.

8. إن الحياة تقليد للفن، وليس العكس.

ويرى أصحاب هذا المنهج أنّ «الفنّ للفنّ» تحقيق للحريّة يوم أن سُلبت في المناهج الأخرى بفعل الالتزام، كما هو الحال مع الماركسيّة والأدب الإسلامي وغيرها من المناهج الأدبية الملتزمة بفكر وأيدلوجية معينة.

والحقّ هو أنّ هذا المذهب هو كالأعمى، ولا يريد أحد أن يعيش حياة الأعمى، إذ لا أمارات ولا علامات يسير عليها، على النقيض من الأدب الإسلامي - بوصفه المنجي من بين المذاهب الأخرى - الذي يُعطي الإنسان ثوابت يسير وفقها، وطرقاً يسلكها، ثم هو بعد هذا يترك الأديب يطرق أي معنى بأي وسيلة وكيف شاء ما دام هو سائر في الطريق الصحيح ووفق المنهج المقبول.

كما أن مذهب «الفنّ للفنّ» يقوم على عقيدة وفلسفة إلحاديّة، يؤكدها اسم المذهب «البرناسيّة»، الذي تفوح منه رائحة العقائد الإغريقية القديمة، وكما أنه مذهب ودين لا ديني، وعقيدة نبذ العقيدة، فالمنطلق أنّ الأديب عقل يرتفع وينخفض، وهو لا يُحتمل أن يكذب كلّه ولا أن يصدق كله؛ إذ لا قطعيّة في الدلالة.

وهو مع ذلك مذهب يقوم على منابذة الأديان - وهي فكرة إلحادية إغريقية قديمة -، فليس صحيحاً إذن أنه مذهب ينادي بتخليص الأدب من التسييس والحفاظ عليه من أن يكون مركباً يُبلغ به إلى أغراض أخرى تحكمها أهواء أصحابها.

وحتى لا يكون الكلام عدائياً لأسباب غير موضوعة، أسوق هنا بعض شواهد أدب الحداثيين، وهم امتداد لمدرسة الفن للفن كما سيأتي، وسأقتصر على إيراد شواهد من كتابات «أدونيس»[1] الذي يعتبرونه رائد الحداثة العربيّة وأحد رموزها الكبار، يقول أدونيس[2]:

«سجيل، أين وضعتَ صُراخ الماضي؟

أفي خوابٍ يسوسها الغيب؟

أتحت مطرقة قاضٍ سماوي لا يعرف أحد أين ولد ومتى».

إذ يُلحظ أنّ الشاعر يتعمّد صدام العقيدة، بل تناول الذات الإلهية، تعالى الله عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً.

وهذا يدلّ دلالة قطعية على بطلان زعمهم عدم الاكتراث بعقيدة أو فلسفة، فالشاعر ينطلق من الإلحاد فلسفة وفكراً، وليس باحثاً عن الجمال كما قد تُغطى تلك المذاهب وتزيّف.

وحتى لا يكون الحكم متحيزاً جائراً أُورِدُ شاهداً آخر من كتابات هذا الشاعر، حيث يقول ناقماً على القدر[3]:

«فلك من دمٍ، ألهبوط يد الغيب ممدودةٌ

لا أظن يد الغيب إلا دماً»

وها هو في مقام ثالث يلمز الأديان ويتهمها بالدموية والهمجية في نشر الأديان بالسيف، وكيف أن الأديان تظهر خلاف ما تُبطن، والشاعر - كما هو ظاهر - ناقم عليها، فيقول[4]:

«ما أمرَّ الحقيقةَ: تأتي النبوات في زهرةٍ

وتُبلَّغ في حربةٍ

الحضارة عجفاء. والأرض جبانة».

---

(1) مما يلاحظ أن أدونيس هو نفسه «علي أحمد سعيد» ما يعني أنّ اسمه قد غيّره، واسم أدونيس يرمز للشعر الديني اليوناني، ما يؤكد النزعة الإلحادية «للفنّ للفنّ» وسلالتها الحداثية.

(2) قصيدة سجيّل، ديوان تنبه أيها الأعمى، ط2، بيروت، دار الساقي، 2005 م، ص 12.

(3) المرجع السابق، ص 38.

(4) المرجع السابق، ص 38.

ويقول في نفس القصيدة:

«ما لهذي السماء

تتناسخ في خوذةٍ

من نُسائل، يا بحرنا المتوسط

سيناء في تيهها؟ أم خواتم أمر ونهي؟

أم دماً يتدفق من كُتُب الأنبياء».

ويظهر كذلك نقمة الشاعر من الأوامر والنواهي، وهي عقيدة «الفنّ للفنّ»، حيث لا أوامر أو نواهي، ولا حسن أو قبيح، بل هو اجتهاد العقل ورؤيته.

وهكذا تسير كتابات أصحاب هذا المذهب، إن لم تتطاول على مقدّس أو تنل من قيمة فهي لا يرجى منها نفع، وإن جاء فنافلة أو بدعة من الأمر لم ولن ترجى مرة أخرى.

خامساً: مِنْ رَحِمِ الفنِّ للفن

مع تقادم الزمن وتأخر الوقت وَمضيّه أضحت «البرناسيّة» أو «الفنّ للفنّ» مذهباً كبيراً يلد مذاهب أخرى، وجوهراً تتعدد وجوهه، إذ تعدّ «الفنّ للفنّ» أمًّا للحداثة وما بعد الحداثة التي تقوم على الشكل وحده وجعله أساساً للتفاضل بين الأعمال الأدبية، وجنساً جمالياً دون أي ملابسات أخرى قد تتصل به أو تُلحظ فيه.

فمن رحم «الفنّ للفنّ» ولدت مذاهب كثيرة منها:

1 - الشكلانيّة:

وهو مذهب يُعلي من شأن الشكل في الأدب، ويجعله محوراً أساساً للإشادة أو القدح في العمل الأدبي، وهو منهج نشأ أول ما نشأ في روسيا، ونادى إلى ما يسمى بـ«موت المؤلف»، وانتشر هذا المذهب في باقي العالم وكسب التأييد.

2 - البنيويّة:

وهو مذهب ينظر إلى الأدب بوصفه كياناً لغوياً، ومنظومة تركيبية، يدرس هذا المذهب الظواهر اللغوية في النص ويدير الحكم على تلك الظواهر وفق معايير لغوية محددة ونمط

تعبيري منظَّر له مسبقاً.

وهذا المذهب انطلق أول أمره من أفكار اللغوي السويسري: «دي سوسير 1857 - 1913م».

واتخذ هذا المذهب بُعداً آخر مع مجيء الروسي: «رومان جاكوبسون 1982م» حيث لعب دوراً كبيراً في التوفيق والربط بين الاتجاهات اللغوية المختلفة في العالم بفعل تنقلاته المتعددة في أوربا وأمريكا [1].

3 - المنهج الأسلوبي:

وهو مذهب متداخل مع البنيوية، إذ إنهما ينطلقان من منطلق النظرة اللغوية للأدب، والحكم من خلاله على النصوص.

ويُعدُّ «تشارل بالي» المؤسس الرئيس للمذهب، وهو أحد تلاميذ «دي سوسير» مُنَظِّر البنيوية، وينظر هذا المذهب إلى الأساليب اللغوية وصلتها بالعاطفة والانفعال، وآثار ذلك في تشكيل الموقف الفني والرؤية الإبداعية للعمل الأدبي.

وعمل على بلورة هذا المنهج وإكمال الرؤية التنظيريّة له عدة مدارس ومذاهب منها: الأسلوبية التعبيرية عند الفرنسيين، وأسلوبية الحَدْس عند المدرسة الألمانية، وكذلك الأسلوبية الإيطالية والأسبانية.

4 - المنهج السيميولوجي:

ويسمى «السيميوتيك» أو «السيميوطيقا»، كما يسمى: «السيمياء» و«السيميائية»، وهي مدرسة تقوم على أنَّ اللغة ما هي إلاَّ إشارة إلى شيء ودلالة عليه، ويسمّى اللفظ: الدال، والمشار إليه: المدلول عليه، كما قد يعني هذا المنهج الرمز وعلاقة الرمز بالمرموز به.

ونشأ هذا المذهب متكئاً على آراء «دي سوسير 1804م» و«تشارل بيرس 1914م».

5 - التفكيكيّة:

وهي نظريّة تقوم على توليد المعاني واستنطاق النص للوصول إلى فرضيّات يحتملها

---

(1) فضل، د. صلاح، مناهج النقد المعاصر، ص 73-59.

النص ويشير إليها، دون أن يعني ذلك إلماح الأديب إلى تلك المعاني أو قصده لها.

والتفكيكيّة مذهب نشأ في أحضان البنيوية، وهو نقد لها ورفض لأكثر معاييرها وقيمها.

بدأت التفكيكيّة بآراء «رولان بارت 1980م» وأسَّسَها بشكلها الحالي «جاك دريدا 2004م» ونَظَّر لها ووضع معاييرها.

سادساً: نظريّة الفنّ للفنّ إلى أين؟

إنّ أوّل ما يطالع القارئ في هذه النظريّة ومنطلقاتها الفكرية إغفالها الجانب النفعي أو الذرائعي - كما يسمّونه - حيث جعلته غير مهمّ ولا مطلوباً ولا تعويل عليه في النقد.

إنّ أدباً لا يحمل مضموناً لا يمكن أن يجد قبولاً، وكيف يُقبل كلام لا معنى له ولا فائدة من ورائه؟، فالقارئ لا يمكن أن يستمرّ في قراءة شيء لا يفيد أو يجذب وإن كان جميلاً.

فلا بدّ للأدب من قضية يعالجها، أو موضوع يدور حوله، ليست اللفظية - وقد طغت - هي الأدب، بل الأدب موقف وقضية أُدير ونوقش بألفاظ وتراكيب وصور حتى يصل ويتضّح في الأذهان ويبلغ الأفهام، وهكذا في جميع الفنون كالرسم والموسيقى والإنشاد وغيرها.

الشعر مثلاً لا بدّ أن يكون له قضيّة، فهو لا ينبع من الفراغ، ولا ينبع من الأرض فقط، بل ينبع من الإنسان والتصاقه بالأرض والتراب.

لذا الفنّ تجربة وموقف وعاطفة وانفعال ورأي، كل ذلك يأتي مسبوكاً في لغة غير اعتيادية تقوم على التصوير والإيحاء والرمز، وفق وزن وقانون يحكم الفنان الرصين ويحد حدوده.

وتلك الدعوة - في نظرية الفنّ للفنّ - إذ تدعو إلى خلو الأدب من هذه المواقف والآراء، أو لا تعدّها مهمّة تجنّي على الأدب، وتذبحه من الوريد إلى الوريد، وتُحيل الأدب إلى ما يشبه الإيقاعات الصوتية والموسيقى البشرية التي لا يتصور لعاقل أن يأبه بها فضلاً عن أن ينشده وتملك قلبه وتأسر لبّه.

إنّ تلك الدعوة أحالت الفنّ والأدباء إلى شخوص وألفاظ لا يُعبأ لها ولا يُنظر إليها، إنّ الفنّان الحقيقيّ اليوم فَقَدَ مركزه وضيَّع سلطانه حين انجرَّ وراء تلك الدعوات الممسوخة

والمذاهب الفارغة، حتى علا صوت أحد الحداثيين منددا بذلك الانحدار عن المكانة والأهمية.

إنّ النظر إلى أحد جناحي الفنّ وهو الشكل، وترك الجناح الآخر وهو المضمون كسرٌ للعمل الفني، ومنعٌ له من السمو، فهلاّ يدبّ الوعي في أذهان نقاد العصر الحديث!!، ويقلعون عن تلك النظرة الاستبدادية الواحدة!!، ذلك ما يُرجى، وهو ما يُؤمَّل حتى لا ينحدر الأدب أكثر من ذلك، ويأتي اليوم الذي يفقد فيه الفنّ وظيفته بالكليّة ومكانته في النفوس وصلته بالثقافة والكون والحياة.

كما أنّ نظريّة «الفنّ للفنّ» تبتر الصلة بين الفنّان - بوصفه مُنشئاً للفنّ - والفنّ بوصفه نتاجاً فكرياً جمالياً وبين المجتمع وهمومه وآماله ومشكلاته، وبين الحياة مستقبلاً وحاضراً وماضياً.

إنّ الفنّ والفنّان لم يَحُلاّ تلك المنزلة عند الأمم جميعها نتيجة الانغلاق والتقوقع على الذات، أو الطلسمة والغموض والعبثيّة، وهذا واقع الفنانين في مختلف الثقافات يشهد على وظيفة الفنّان تجاه مجتمعه، وشواهد ذلك كثيرة في أدب العرب - مثلاً - من رثاء المدن ووصف الفقر والحرب وآثارها ممّا لا يتسع المقام لذكره.

سابعاً: نظريّة الفنّ للمجتمع

ولاكتمال الموضوع حول نظريّات الفنّ، نتحدّث باختصار عن نظريّة «الفنّ للمجتمع» والتي ظهرت كردّ فعل لنظريّة «الفنّ للفنّ» حيث ترى أنَّ الفنَّ يجب أن يوظّف لخدمة الحياة البشرية لإرشادها نحو الفضيلة، وكوسيلة للدعوة إلى المبادئ الدينية والأخلاقيَّة.

ولذا رفض «ديوي»[1] عزل «الفنون الجميلة» عن الفنون التطبيقيّة» أو النفعيّة، وهذا يعني رفضه لنزعة «الفنّ للفنّ» التي اعتبرها نزعة أرستقراطيّة تعزل الفنّ عن المجتمع وتجعله وسيلة جماليّة لصفوة المجتمع.

---

(1) ديوي، جون (1859-1952) فيلسوف وعالم نفس وتربية أميركي، صاحب مذهب «الوسيليّة» الذي يعتبر تطويراً للبراجماتيّة، من مؤلّفاته: «المدرسة والمجتمع»، «الخبرة والطبيعة».

وكموقف أوّليّ نبدي تفصيله في الصفحات الآتية، فإنّ لهذه النظريّة إيجابيّات وسلبيّات، وأبرز ما فيها أنّها تأكّد على شرط «الوظيفيّة» غير أنّه غير متكامل.

الفصل الثالث

نقد نظريات الفن من حيث طبيعته

أولاً: نظريَّة المحاكاة البسيطة

ثانياً: نظريَّة محاكاة الجوهر

ثالثاً: نظريَّة محاكاة المثل الأعلى

رابعاً: النظريّة الإنفعاليّة

نقد نظريات الفنّ من حيث طبيعته

أولاً: نظريَّة المحاكاة البسيطة

تعدّ نظريّة «المحاكاة البسيطة» من أبرز وأقدم نظريات الفنّ الجميل، ومعنى المحاكاة هو تقليد الأشياء الموجودة في الطبيعة، كأن يقوم المثّال بنحت هيئة إنسان أو طير على شكل عمل فني، أو يرسم الفنّان منظراً طبيعيّاً أو يصوّر طفلاً في لوحة على شكل عمل فنّي، وإذا ما قام الفنّان برسم صورة إنسان أو حيوان أو منظر طبيعي مماثل لما هو موجود في الطبيعة بصورة دقيقة في الشبه، فإن ذلك يسمّى «بالمحاكاة البسيطة».

إنَّ نظريَّة المحاكاة البسيطة في الفنّ تعبّر عن «واقع الحياة»، بمعنى مطابقة العمل الفنّي للواقع الموضوعي الذي هو الأساس في هذه النظريّة، ويسمّى هذا الفنّ «بالفنّ الواقعي» لأنَّ الفنّان يعكس الواقع كما هو.

نقد نظريَّة المحاكاة البسيطة:

تمثّل نظريّة المحاكاة البسيطة النظرة البسيطة للأشياء، فالفنّ الجميل ليس هو المطابقة الحرفيّة للواقع فحسب، بل لا بدّ أن يقدّم دلالة على قيمة العمل الفنّي. كما أنّ الفنّ عليه أن يتولّى مهمّة رسم الفنّ الواجب الحصول لا ما هو حاصل فقط، كما أنَّ نظريَّة المحاكاة البسيطة لا يمكن تحقيقها في جميع أنواع الفنون الجميلة، وإذا كان ممكناً التقليد في الرسم والنحت والأدب، فإنَّه صعب التحقيق في فنّي الموسيقى والشعر مثلاً.

ثانياً: نظريَّة محاكاة الجوهر

ذكروا أنّ أرسطو كان أبرز ممثّلي هذه النظريّة، فبعد أن كانت المحاكاة البسيطة في الفنّ تعتقد بأنّ الفنّ الحقيقي هو الذي يكون مطابقاً للواقع وبصورة حرفيّة،رأى بأنّ المحاكاة لا تخلو من الفائدة، فهي وسيلة من وسائل العلم والمعرفة، وقد أُطلق عليها اسم «محاكاة

الجوهر».

فالجوهر هو الصفة المشتركة بين جميع أفراد فئة معينة، فجوهر الإنسان مثلاً هو «العقل» وكل ما هو غير عاقل ليس إنساناً، أمَّا الصفات الثانوية المختلفة فلا تدلّ على جوهره، وإذا كان شعره مثلاً طويلاً أو قصيراً أو ينتمي إلى مكان أو زمان معيّنين، فإن جوهره ثابت هو «العقل»، فهو إنسان عاقل بالرغم من الصفات الثانوية، وعلى ذلك فإذا كان العقل هو جوهر الإنسان، فإنَّا نعرف أنَّ الناس قادرون على استخدام التصورات العقليَّة والرموز في التفكير المجرّد[1].

نقد نظريَّة محاكاة الجوهر:

ولكن، وبشكل أو بآخر فإنّ هناك نقداً يوجّه إلى نظريّة الجوهر، وهو أنَّ الجوهر شيء غير متّفق عليه، فهناك من يرى أنَّ الجوهر هو «العقل» - كما رأى أرسطو - في حين ترى الوجودية أنَّه «اللامعقول»، وعلماء النفس يقولون إنَّه «اللاشعور» أو «الغريزة»، وآخرون يرونه «الإرادة»، وهكذا... فإنّه يتضح إجمالاً من هذا الاختلاف أنَّ نظريَّة الجوهر ليست نظريَّة متكاملة، فهي لم تعطنا تعريفاً كافياً للفنّ الجميل.

ثالثاً: نظريَّة محاكاة المثل الأعلى

وبيانها المختصر أنَّ أنصار هذه النظريَّة يعتقدون بأنَّ الفنَّ الجميل هو «محاكاة للمثل العليا» وليس الفنّ، بخلاف ما يذهب إليه أصحاب نظريَّة المحاكاة البسيطة، فإنَّ الأخير تقليد للأشياء القبيحة والجميلة دون تمييز بينها سواء في الطبيعة، أو الحياة الإجتماعية.

وموقف هذه النظريَّة - محاكاة المثل الأعلى- أخلاقي، فهي تبحث عن النموذج الأعلى للموقف الإنساني في الحياة الواقعية، لذلك نجدها تعبّر عن الواقع في الوقت الذي تعطي فيه الصفة المثالية للحياة الواقعيّة. وقد عُرفَ هذا المذهب في القرن السابع عشر والثامن عشر باسم مذهب «الطبيعة الجميلة» ويعدّ «صموئيل جونسون»[2] من أبرز أنصاره.

---

(1) كانت نظريّة محاكاة الجوهر تسود الفكر الجمالي الأوروبي في فترة ما يسمّى «بالكلاسيكيَّة الجديدة» وذلك من خلال تأثير كتاب «الشعر» لأرسطو.

(2) جونسون، صموئيل (1709-1784) كاتب وناقد إنكليزي، معظم أعماله في الشعر الهجائي.

والأساس في المثل الأعلى في الفنّ عند «جونسون»، أنّها تعرض «ما ينبغي أن يكون عليه الفن»، وليس «ما يكون عليه الفنّ»، فإنّ واجب الفنّان هو أن يجعل العالم أفضل.

نقد نظريَّة محاكاة المثل الأعلى:

ويُشكل عليها أنّ الناحية الأساس التي تؤكدها محاكاة المثل الأعلى هي الناحية الأخلاقية، مع عدم التركيز على الناحية الجماليّة، وبالتالي جاءت - النظريّة - مقوّمة لجهة دون جهة من الفنّ، في حين يفترض في العمل الفنّي أن يكون عملاً متكاملاً بجوانبه الحسيّة كافّة، وارتباطاته التخيليّة، وبنيانه الشكلي، وهذه النواحي إذا ظهرت في أيّ فنّ من الفنون بصورة مترابطة، فإنّها تعطينا عملاً فنيّاً مبدعاً.

رابعاً: النظريّة الإنفعاليّة

إنَّ النظريَّة الإنفعاليَّة هي نظريَّة حديثة في الفنّ تسمّى بالحركة «الرومانتيكيِّة»، لقد وجدت لها أنصاراً كثيرين في أواسط القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وتقوم هذه النظريّة على أساس أنّ العمل الفنّي يجب أن يكون له تأثير من «الإنفعال» على الإنسان، يثير فيه «العواطف الجيّاشة»، لا أن يخاطب العقل، ويمكن اختصار نظريَّة الرومانتيكية بمعنى أوضح بأنَّها «ثورة القلب على العقل»، بقصد الإعلاء من شأن الشعور والعاطفة.

وهذه النظريَّة لها جذور قديمة منذ أفلاطون الذي وصف الفنّ بأنّه «يروي الإنفعالات العارمة»، وأرسطو أيضاً كان يرى أنّ الفنّ يثير إنفعالاً، وفي القرن الثامن عشر كانت تتخلّل فنونه نزعات ترى أنَّه لا بدّ للفنّ أن يثير الإحساس والإنفعال لدى المتذوّق، إلاَّ أنَّ هذه النزعة لم تظهر بشكل واضح إلاَّ في القرن التاسع عشر والمتمثّلة في الحركة «الرومانتيكية».

نقد النظريَّة النظريّة الإنفعاليّة:

كنظرة تفحصيّة في هذه النظرية نرى أنها تشبع الجانب العاطفي بشكل كبير حتّى عبّر عنها بأنّها شكّل «ثورة» من دون أن توجّه أيّ خطاب للعقل، علماً أننا أثبتنا سابقاً وللعديد من النظريّات أنّ الفنّ المقبول والسليم هو الفنّ المتوازن والمتكامل الذي يعطي للجوانب كافّة حقّها دون أن ينقص في الأخرى.

الفصل الرابع

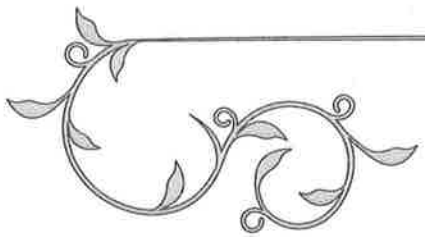

الحاجة للفن والجمال

أولاً: الشعور بالحاجة إلى الفنّ والجمال

ثانياً: الفنّ والجمال بين الإلهام والسلوك والعقل

أ- نظريّة الإلهام: مدرسة القوّة الغيبيّة.

ب- نظريّة السكلوجي: مدرسة التحليل النفسي.

ج- نظريّة العقل: مدرسة الإبداع الواعي.

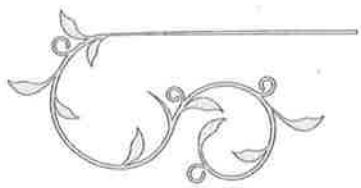

الحاجة للفنّ والجمال

أولاً: الشعور بالحاجة إلى الفن والجمال

ويمكننا تلخيص الشعور بالحاجة إلى الفن والجمال عندهم في ثلاث نقاط[1]:

أ- التطهير النفسي

حيث ذكر أرسطو أن التطهير KATHARSIS يبعث على الراحة النفسيَّة عندما يتمّ «التنفيس» عن الهموم بانبعاث الآهات والدموع، وذلك عند رؤية مسرحيَّة تُعالج مأساة وتفاعلنا معها وتعاطفنا مع بطل تلك المأساة.

ب- النفع

عندما نرى فلماً أو مسرحيّة أو نقرأ شعراً أو غير ذلك من ألوان الفنون فإننا نكسب معرفة وخبرة تفيدنا في حل مشاكلنا الإجتماعيّة والنفسيّة.

ج- المتعة الخالصة

وهي رغبة الإنسان في الإستماع للفنّ لذاته وهذه الرغبة تجعله بحثاً عن الكوميديا أو مشاهدة قصّة رومانسيّة أو زيارة معرض للصور للتمتّع بجمالها فحسب.

ثانياً: الفنّ والجمال بين الإلهام والسلوك والعقل

أ - نظريّة الإلهام: مدرسة القوّة الغيبية

ترجع نظرية الإلهام إلى نوع من الإلهام الذي يأتي من قوة غيبيّة، وتعدّ هذه النظريّة من أقدم النظريات الخاصّة بالفنّ.

وتذكر الدراسات أنّ الإبداع الفنّي وفقاً لنظريّة الإلهام يحدث فجأة دون تدخل من العقل

(1) رشاد سعيد، د. نبيل، مدخل إلى علم الجمال، ط1، بيروت، دار الهادي، 2001م، ص 19-18.

او الإرادة، فالفنّان يشرق عليه الإلهام في ومضة، وهذه الومضة لا تكترث بفكرة أو إرادة، ومن هنا ذكر فلكس كلاي: «أن لحظات الإبداع تبدو بعيدة عن العمليات العادية للعقل أو الشعور أو الإرادة».

وتؤكّد دراسات كثيرة على الفكرة الذاتيّة للفنانين، وأنّ معظم الفنانين يميلون عادة إلى القول بأنّ فنّهم كان قبساً من إلهام كما يدّعون.

إلاّ أنّ أفلاطون يعدّ المسؤول تاريخياً عن هذه النظريّة وإليه تنسب، وهو أول من ذهب إلى القول بأنّ الإبداع الفنّي لا يخرج عن كونه ثمرة لضرب من الإلهام.

وبهذا «نجد تراثاً قديماً يصوّر الخلق الفنيّ على أنّه عمليّة لا عقليّة نشويّة يفقد فيها الفنان سيطرته على نفسه»[1].

وشارك آخرون ما ذهب إليه أفلاطون من أنّ مصدر الفنّ هو إلهام أو وحي يأتي للفنّان من عالم مثالي فائق للطبيعة وأضافوا قائلين أنّ الفنان رجل ملهم يستمدّ فنّه من ربّات الفنون.

وقد ذكرت الأسطورة اليونانيّة أنّ لكبير الآلهة «زيوس» القابع على جبل أولمبد تسع بنات[2] هنّ ربّات الفنون وكل ربّة من هذه الربّات تختص برعاية فن من الفنون.

ففلسفة أفلاطون الجماليّة تشير إلى انسجام بين السلوك والفنّ في خدمة المجتمع، ولا يعني طرده للفنانين أو الشعراء من جمهوريّته عدم إحترامه للفنّ، بل العكس من ذلك، إذ كان موقفه ملتزماً بالتربية الاخلاقيّة للشباب، فقد كان يرمي لدرء خطر الإنحلال الخُلقي للشباب – وهذا يوضّح لنا أهميّة الفنّ للحياة الإنسانيّة – فقد كان الفنّ عنده الصعود من المحسوس إلى المعقول وكأنه الوسيلة لتطهير النفس، وهو الإتجاه الموضوعي المثالي.

أما الرومانتيكيّون فقد كان لهم الأثر الأكبر في بعث وإحياء هذه النظريّة، باهتمامهم بالعاطفة، فقد اعتمدوا على الخيال حيث ابتعدوا عن الواقع، وقد أفاضوا في باب الأحلام

(1) ستولنيتز، جيروم، النقد الفني دراسة جماليّة، ترجمة فؤاد زكريا، الهيئة المصريّة للكتاب، ص134.

(2) تعتبر الربّات من الأساطير اليونانية القديمة، وهن تسع بنات لزيوس وامنموسين: كيلو ربّة التاريخ، بوترب ربة الغناء، تاليا ربة الكوميديا، مليومين ربة التراجيديا، تربسخورا ربة الرقص، اراتوا ربة الشعر الغنائي، بوليهمنيا ربة الخطابة والبلاغة، كاليوبي ربة شعر الملاحم، وأورانيا ربة الفلك.

بتناسب تامّ مع نظريّة الإلهام.

أمّا نحن فإننا لا ندعو لاستبعاد الخيال من تأملات الفنّان، فالفنّان يبني عالمه الفنّي ممّا يتخيّله، والخيال والحلم هما أمران ضروريّان للعمل الفنّي، ولكن لا يعني هذا كونهما المنبع الوحيد للإبداع الفنّي كما تذهب إليه «نظريّة الإلهام»، حيث تتلخّص الفلسفة الفنيّة عند الرومانتيكيين بتصويرهم للفرد الذي يقف وحيداً في مواجهة العالم فنجد الأنا المفردة في مواجهة للأنا الهائلة، ولهذا نجدهم يكثرون من الحديث عن التجوال بلا هدف والبحث عن الزهرة الزرقاء!!.. وعن العزلة التي يتجنّبها المرء ويتلمّسها.

ونؤكّد مجدداً على أنّ الحلم قد يعطي للفنّان بعض الإلهامات ليصيغها في اليقظة وليطوّعها ويحوّلها إلى حقائق، غير أنّ «المبدع هو نفسه الذي يمتلك ناصيّة تلك الأحلام وليست الأحلام هي التي تمتلكه وتوجهه»[1].

اعتراضات على نظريّة الإلهام:

وفي الجهة المقابلة اعترض عدد من الباحثين على «نظريّة الإلهام» وذلك من خلال تأكيدهم بأنّ الفنّ «واع بهدفه» وأنّ النشاط الفنّي هو المعالجة البارعة الواعية من أجل تحقيق هدف حتّى ولو كان هدفاً جماليّاً.

وفي هذا المجال يقول ستولنيتز: «إنّ ميدان الفنّ هو ذاته ميدان سيطرة الإنسان الواعية على عالم الحوار والحركات الذي ينبغي على الإنسان أن يستوطنه»[2].

وزاد فاليري على ذلك قائلاً: «كل عمل فنّي مسألة رياضيّة لا بد من حلّها»[3]، ويكمل قائلاً: «الوحي لا يقدّم للفنّان إلا المواد الأولية للعمل الفني، ولكي يتحكّم في هذه ويقدّرها لا بد من روح نقد تقوم بعملية التقدير»، وأنّ الوحي ينقل إليك موجته الجارفة كل ما هو طيب ورديء

---

(1) انظر: الباشا، حسن، عصر النهضة في أوروبا، دار النهضة العربية، علام، نعمت إسماعيل، غنون الغرب، دار المعارف بمصر، ومحيط الفنون – الفن التشكيلي/الموسيقى، مجموعة من الفنانين.

(2) ستولنيتز، جيروم، النقد الفني، ص 131.

(3) برتليمي، جان، بحث في علم الجمال، ترجمة عبد العزيز، القاهرة، دار النهضة، ص125.

في آن واحد فكيف يتم إذن اختيار الأصلح»[1].

وقد خلصوا بأنّ الإلهام موجود ولكنه بقدر، وأنّه شعور يأتي الفنّان المتمرّس فيقوم بعمله الفنّي بسهولة ومهارة، يمكن أن نطلق عليه «السهولة الإبداعيّة» أو «ملكة الإبداع».

والفنّان واعٍ بهدفه حتى ولو كان الهدف جمالياً - وأنّ الفنّ عالم بارع واع، وأن الإلهام المفاجىء أو اللحظات الفجائية التي تنتاب الفنانين - وهي موجودة لكنّها قصيرة ولفترة معيّنة، وحتى هذا الإلهامات أو اللحظات الفجائية ناجمة عن تفكير وتأمل قبلي يستتبعه إدراك عقلي بَعْدِي.

وأما اللحظات أو الومضات الإبداعية فهي ليست إلا ثمرة لعمليات مضنية تنتج باستدعاء المعاني والصور التي اختزنها الفنّان في عقله كرصيد فنّي.

الفكرة النابتة:

ومن هنا فإن الفكرة النابتة تعدّ بذرة فكريّة تتفتّح في ذهن الفنّان لتنمو من خلال العمليات العقليّة بأنواعها، لتصبح عملاً فنيّاً حينما تصل إلى نضجها.

وما هذه الصورة الحيّة لعمليّة الإبداع الفنّي إلا تلك الفكرة النابتة كالبذرة النابتة التي تحوي الشجرة الضخمة بأوراقها وسيقانها وثمارها، فكل متعلقات الشجرة كانت كامنة داخل تلك البذرة[2].

ب - نظريّة السكلوجي: مدرسة التحليل النفسي

تحاول مدرسة التحليل النفسي - وعلى رأسها فرويد - أنّ تستخلص العمل الفني من صميم الخبرات الشخصيّة للفنّان، وتحاول أن تثبت لنا أنّ أعمال الفنّان لا تخرج عن كونها

---

(1) المرجع السابق ص 128-126.

(2) قد دلّت التجارب الزراعية أن النباتات عند الإنبات لا تأخذ من جسم التربة شيئاً بل تستفيد من عناصر التربة، وعمليات الإنبات كامنة في البذرة ذاتها، وكذلك الأفكار النابتة كالبذرة النابتة.

وسائل للتنفيس عن رغبات جنسيّة[1].

ومعنى ذلك أنّ الفنّ مثله في ذلك كمثل المرض النفسي، فهو يرتدّ في نهاية الأمر إلى العقد المكبوتة في اللاشعور هذا ما تردده هذه النظرية كما يبدو.

وعند تحليل فرويد ليوناردو يقول فيه: «لقد منع ليوناردو من أن يرى ابتسامة أمّه، فوقع طويلاً تحت تأثير حرمان نوع من الكف يمنعه من العودة الثانية إلى الرغبة في مثل هذا الحنان من شفاه النساء، ولكنه لما أصبح رسّاماً حاول أن يعيد خلق هذه الإبتسامة بفرشاة»[2].

وبهذا يكون الفنّ من خلال النظريّة السيكلوجيّة، يدور مدار ثلاثيّة، وهي:

أحدها: العقد النفسيّة في اللاشعور.

ثانيها: التنفيس عن ذكريات مكبوتة.

ثالثها: انحدار هذه الذكريات من عهد الطفولة لتتجلّى في «عقدة أديب».

وعليه فإنّ أعمال كل من «فكتور هيجو» الرمزيَّة، وأعمال «ليوناردو دافنشي» الفنيَّة، وفي ابتسامة «الجيوكندة» السحريَّة و«ديستوفسكي» والإخوة «كرامازوف»، ما هي إلاّ مصاديق لتلك النظريّة الكليّة لها، والفنّ مثله مثل الحلم من حيث انّه يخضع لتأثير الميول الجنسيَّة والرغبات المكبوتة، فيوجد الفنّ توازناً نفسياً بالتطهير والإخراج، ورد فعل لعقدة مكبوتة.

ج - نظريّة العقل: مدرسة الإبداع الواعي

تعتبر العملية الإبداعية نتاج العقل والفكر الواعي ووليدة الإرادة الإنسانية، وأنّ العمل الإبداعي عمل بارع واعٍ يتحققّ من خلال إنسان امتلك زمام نفسه وإرادته.

وتعمل هذه النظريّة لإبراز دور العقل وأهميّته للإبداع الفني، وأنّ أيّ عمل فنّي لا يمكن أن يرى النور إلاّ إذا مسّته عصا العقل البشري، وخضع لتأمّل ورويّة وإرادة وتصميم.

---

(1) فرويد، ليوناردو دافنشي والسلوك الشاذ، ترجمة عبد المنعم الحفني، ص 45.

(2) المرجع السابق، ص 69.

أنصار النظريّة العقليّة:

ونذكر باختصار عدداً من أنصار النظريّة العقليّة:

1. **ليوناردو دافنشي:**

وهو الفنّان الموسوعي وثالث ثلاثة من عظماء عصر النهضة في أوروبا في عصرها الذهبي، وروح ذلك العصر في التقصّي والدراسة المتأنية للمواضيع الفنيّة، والبحث المنهجي الشمولي لكل متعلقات الإبداع الفنّي.

2. **كانط:**

وهو الفيلسوف الألماني الذي أرجع الإبداع الفنّي إلى قوانين وشروط أوليّة سابقة على التجربة.

3. **هيجل:**

الذي يربط بين أصالة العمل الفنّي وبين المعقوليّة استمراراً لاتجاهه العقلي.

4. **شوبنهور:**

الذي ربط بين الإبداع الفنّي وبين الفكرة والإرادة.

5. **جان ماري جوير:**

الذي أرجع العملية الإبداعيّة إلى تأمّل وخيال عقلي.

6. **كاترين باتريك:**

التي ذهبت إلى أنّ الإبداع يرجع إلى الفكر.

7. **بوزانكيت:**

وطبقاً لاتجاه العقل فأنّ الإنتاج في ميدان الفنّ الخلاّق هو صورة من الإنتاج العقلي.

8. **جيليفورد:**

وقد ذهب إلى أنّ الإبداع بوجه عام يقوم على الفكر المبدع.

وبعدّ إيراد أنصار النظريّة العقليّة نورد مثالاً معاصراً ممّن كان له قدرة على التشكيل

الإبداعي الممرحل، «وذلك الفنّان هو «بابلو بيكاسو» والذي نفّذ لوحته الشهيرة جورنيكا على سبع مراحل متتابعة، حيث استخدم واستجمع كل خبراته الفنيَّة وقدراته الإبداعية فأودعها تلك اللوحة في تعبيره عن مأساة قرية الجورنيكا الإسبانيّة التي حطّمها النازيّون بأوامر من فرانكو وتعدّ لوحة الجورنيكا من أعظم اللوحات التجريديّة على المذهب البكاسوي»[1].

ولعلّ من إنجازات النظريّة العقليَّة - وبشكل بَدْوِي - أنّها استطاعت تخليص الذهن من الأفكار الأسطوريّة وتحرير الفكر المبدع من الخرافات والأوهام وطبعه بطابع العلميَّة.

(1) عبده، د. مصطفى، فلسفة الجمال ودور العقل في الإبداع الفني، ط2، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1999م، ص64.

الفصل الخامس

لغة الفن والإمكانيات والاتجاهات

أولاً: اللغة الفنيّة

ثانياً: هل الفنّ للحياة؟

ثالثاً: ما هي إمكانيات الفنّ؟

رابعاً: الفنّ واتجاهاته

خامساً: الفنّ ودراسته

سادساً: الفنّ وأشكاله

أ- الشعر

ب- القصّة والحوار: شواهد قرآنيَّة

ج- الخطبة: «المتقون نموذجاً»

لغة الفنّ والإمكانيات والاتجاهات

أولاً: اللغة الفنيَّة

ما يميّز اللغة الفنيَّة كونها تعبيراً غير مباشر، والفارق بين اللغة المباشرة وغير المباشرة أنّ الأولى تعتمد على نقل الحقائق بصورتها الواقعية: كما لو قلنا في الأمور العقلية والحسبية مثلاً أنّ الواحد بالإضافة الى الأربعة يساوي خمسة، أو أنَّ الماء يتكوّن من عنصرين، بينما تعتمد لغة الفنّ على عنصر التخيّل أساساً لها، أي العنصر المتمثّل في إحداث علاقة جديدة بين الحقائق التي تستهدف نقلها إلى الآخرين، فإذا أردنا أن نتبيّن مثلاً أهميّة «الإنفاق في سبيل الله»، قلنا: أنّ مَنْ ينفق أمواله من أجل الله فسيُعوّض بأضعاف ذلك، وحينئذ يكون هذا التعبير واقعياً أو عادياً أو علميّاً لكن عندما نقول مع الآية الكريمة» ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾[1] حينئذ يكون هذا التعبير «فنيّاً - بلاغيّاً»، والفارق بين التعبير الأسبق وهذا التعبير هو إضافة أو إحداث علاقة جديدة بين «الإنفاق» و«الحبّة» التي لا علاقة للأخيرة لها في ساحة الواقع الحسي الخارجي.

والموجب لإحداث هذه العلاقة بينها هو تعميق الهدف والدلالة في ذهن المتلقّي سواء أكان قارئاً أم مستمعاً أم مشاهداً.

ثانياً: هل الفنّ للحياة؟

في تصوّرنا أنّ طرح مثل هذا السؤال مخطئ أساساً، فليس من المعقول مثلاً أن يختلف اثنان عاقلان في أنَّ الحياة موظّفة للإنسان يستثمرها لإشباع حاجاته المختلفة سواء أكان ذلك فنّاً أم سلاحاً نارياً في ساحة المعركة،من هنا، فإنّ الفنّ المعاصر تجاوز طرح مثل هذا السؤال لمفروغيّته في الذهن.

---

(1) سورة البقرة، الآية: 261.

بَيدَ أنَّ الإختلاف في وجهات النظر - غير الإسلاميَّة - تبدأ من صعيد آخر هو تحديد نمط الوظيفة التي يضطلع الفنّ بها، ومن ثمّ تحديد نمط الإشباع للحاجات، فهناك من الباحثين من يعالج الظاهرة من خلال المعيار الإجتماعي والفردي، «فإذا تناول الشاعر أو القاصّ مشكلة إقتصادية أو سياسية مثلاً أو أية مشكلة تتصل بالهموم العامة للإنسان يكون الفنّ حينئذ منتسباً لـ الحياة أما إذا عولجت من الزاوية الفرديَّة التي تحوم على هموم الذات، يكون الفنّ حينئذٍ منتسباً للفنّ وليس للحياة»[1].

وهناك من الباحثين من يعالج الظاهرة من صعيد آخر هو الحاجات الأوليّة والحاجات الثانويّة، فإذا عالج القاصّ أو المسرحي أو الشاعر قضية ذات صلة بحاجات الإنسان الرئيسة مثل مشكلة الجوع أو المرض أو أيّ حاجة لا مناص من إشباعها كان الفنّ حينئذ منتسباً للحياة، أمّا إذا تناولها من زواية الحاجات الثانوية مثل الحاجة إلى الجمال - كما الحال في مشاهد الطبيعة - كان الفنّ حينئذٍ منتسباً إلى الفنّ.

ثالثاً: ما هي إمكانيَّات الفن؟

الفنّ وعناصره:

للفنّ مجموعة من العناصر التي يستطيع بها التأثير والإبداع، أبزرها:

أ - **التخيّل والصورة:** أو «العنصر التخيّلي» والذي يعدّ من أهمّ عناصر الفنّ، إن لم يكن العصب الرئيس فيها، ويقصد به - كما هو واضح - ما يقابل عنصر الواقع، وقد تكون الصورة المقدّمة متعددة تتألف من متعدد، كما ورد في كتابه المجيد: ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[2]، فهنا مجموعة متعددة من الصور المفردة حيث النور والمشكاة والمصباح والزجاجة والكوكب الدرّي، إلخ..

---

(1) البستاني، د. محمود، الإسلام والفن، ط1، مشهد - إيران، مجمع البحوث الإسلامية، رمضان 1409هـ، ص9.

(2) سورة النور، الآية: 35.

ب - **العنصر العاطفي:** ونعني بالعاطفة ما يقابل الفكر.

ج - **العنصر الإيقاعي:** ويقصد بالايقاع الأصوات التي تنظّم في شكل خاص من التعبير بحيث يبتعث الإثارة والإمتاع والإحساس بالجمال عند المستمع، وبكلمة أخرى نعني به «الموسيقى»، ونلفت إلى أنّ ثمَّة فوارق بين نمطين من الإيقاع: أحدهما يتسم بالضرورة الفنيّة، بينما يتسم النمط الآخر من الإيقاع بسمة الضابطة الشرعيّة وهو أمر نتحدّث عنه في الصفحات الآتية عند معالجتنا لظاهرة الغناء التي حرّمها المشرّع الإسلامي تحريماً قاطعاً.

رابعاً: الفنّ واتجاهاته

وللفنّ اتجاهات متعددة يمكن اختصارها بالاتجاهات التالية[1]:

- الإتجاه التقليدي.
- الإتجاه الرومانسي.
- الإتجاه الرمزي.
- الإتجاه السريالي.

خامساً: الفنّ ودراسته

ويمكن دراسة الفنّ أيضاً ليس من خلال «النظريّة» التي تعني صناعة القواعد أو المبادئ أو القوانين للفنّ، بل من خلال «التطبيق»، أيّ بدراسة النصّ الإنشائي من «القصّة، والمسرحيّة وغيرهما...» في ضوء القوانين الفنيّة المشار إليها، أو دراسة النصّ الوصفي، وهذا سيظهر في الفقرة التالية «الفنّ وأشكاله».

سادساً: الفنّ وأشكاله

إنَّ كان الفنّ شعوراً وصورةً وصوتاً فإنّ مظاهره متعددة ومتكثّرة، نذكر أبرزها:

---

(1) للإطلاع حول هذه الإتجاهات يمكن مراجعة الكتب والمصادر التفصيليّة.

أ- الشعر:

تاريخياً، يظلّ الشعر أسبق الفنون اللفظيَّة ظهوراً، بصفته - من حيث الدلالة النفسيّة للسلوك البشري بصورة بعامة - تعبيراً عن نظام عصبي قائم على الاستجابة للظواهر. فعمليّة التنفس مثلاً، والمشي وسائر النشاط الحركي يظل ذات بعد إيقاعي ملحوظ لكلّ من حاول رصد السلوك الحركي للإنسان.

يبقى الشعر كما نعرف جميعاً يحتلّ من آداب اللغة العربية مساحة كبيرة منها، بل هو ديوان هذه اللغة وسجلّ تاريخها، حتى أن القصيدة أو البيت - كما قيل - يعقد قبيلة ويقيم أخرى، ويغيّر شريحة من شرائح التاريخ أيضاً.

وجاء الإسلام فأقرّ هذا الشكل الفنّي، بل شجّعه وثمّن مواقف الشعراء، ووعد بالثواب، ومنح الهدايا، وأشار إلى تأثيره السحري في النفوس، حتى اشتهر عن أهل البيت عليهم السلام قول الإمام أبي عبد الله عليه السلام: «**من قال فينا بيتاً من الشعر، بنى الله له بيتاً في الجنة**»[1]، وهذا ما يقودنا إلى القناعة بأنّ مباركتهم للشعر أو استشهادهم به، أو حتى إنشادهم أحياناً يظلُّ ناظراً إلى الشعر، ليس من حيث كونه فنّاً فقط بل من حيث كونه أداة للتعبير عن الحقائق يتطلبها الموقف العابر، وإلاّ متى كانت الأراجيز في المعارك مثلاً تتوفر على صياغة الشعر صياغة خاصّة تتطلبها التقنيّة الفنيّة ومعاييرها التي يرسمها نقّاد الشعر عصرئذٍ.

ولقد كان لتوجيهات أهل البيت عليهم السلام الأثر الكبير في انتشال الأدب من مهاوي الرذيلة والمجون والاستهتار الذي سقط فيه الأدباء وخاصّة الشعراء في تلك العصور المظلمة، التي كادت تؤدّي إلى ضياع جهود جبّارة من ذوق الشعراء وفنّهم في متاهات الأغراض الفاسدة، وكذلك جهود الأمّة في سماع ذلك الأدب الماجن، ونقله وضبطه وتداوله! وقد أثرت جهود الأئمة عليهم السلام بتعديل ذلك المجرى، للسير في السبل الآمنة، والأغراض الشرعية والتزام الأدب الهادف المؤدّي إلى رفع المستوى الخُلقي والفكري والثقافي.

---

(1) الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، بيروت - لبنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1984م، ج2، ص15.

ب- القصّة والحوار: شواهد قرآنيَّة

ولهذا شواهده الكثيرة في القرآن الكريم، حيث العنصر القصصي المتنوّع والمتعدّد، فعلى صعيد بناء القصّة نجد:

- قصّة طالوت عليه السلام.
- قصّة إبراهيم عليه السلام.
- قصّة أصحاب القرية.
- قصّة سليمان عليه السلام.
- قصّة أصحاب الكهف.
- قصّة آدم عليه السلام.
- قصّة مؤمن آل فرعون.
- قصّة يوسف وأبيه عليهما السلام وأخوته.

وعلى صعيد الحوار في القصص القرآنيّة نجد:

- الحوار الداخلي: كقصّة الأبرار.
- الحوار المزدوج: كقصّة نوح عليه السلام.
- الحوار الجمعي، والداخلي: كقصة الجن.
- الحوار المسرحي: كقصّة مؤمن آل فرعون.
- الحوار الغيبي: كقصّة موسى عليه السلام.
- الحوار الملائكي.

ج- الخطبة: المتقون نموذجاً

ففي كتاب نهج البلاغة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام العديد من الفنّ البلاغي، ومنها خطبة المتقين[1] والتي وصف فيها عليه السلام المتقين وتحدّث عن أحوالهم

(1) عبده، محمد، نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام، ط1، مطبعة دار النهضة، قم - إيران، 1412هـ، ج2، ص160 .

وسماتهم ومواقفهم، وللخطبة مقامات فنيّة وأخرى جماليّة يمكن النظر إليها - مثلاً - على النحو التالي:

روي أنّ صاحباً لأمير المؤمنين عليه السلام يقال له همّام كان رجلاً عابداً، فقال يا أمير المؤمنين صف لي المتقين حتى كأنّي أنظر إليهم، فتثاقل عليه السلام عن جوابه ثم قال: يا همّام اتق الله وأحسن، فإنّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، فلم يقنع همّام بهذا القول حتى عزم عليه، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ثم قال:

1. تأسيس عقائدي: «غنى المولى تعالى»

أمّا بعد، فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم، آمناً من معصيتهم، لأنه لا تضرّه معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة من أطاعه. فقسم بينهم معيشتهم، ووضعهم من الدنيا مواضعهم.

2. سمات المتقين في الدنيا:

- **المقام:** فالمتقون فيها هم أهل الفضائل.
- **المنطق:** منطقهم الصواب،
- **الملبس:** وملبسهم الاقتصاد،
- **المشي:** ومشيهم التواضع،
- **البصر:** غضّوا أبصارهم عما حرّم الله عليهم،
- **السمع:** ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم،
- **التوازن:** نزّلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزّلت في الرخاء.

3. حالة اليقين عند المتقين: «الموت مصداقاً»

- **اليقين بالآخرة:** ولولا الأجل الذي كتب لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب، وخوفاً من العقاب،
- **اليقين بمحضر الله:** عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم،
- **اليقين بالجنّة والنّار:** فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعّمون، وهم والنار كمن

قد رآها فهم فيها معذّبون.

- **أحوال المتقين:** قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة. صبروا أياماً قصيرة أعقبتهم راحة طويلة، تجارة مربحة يسَّرها لهم ربهم، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها.

4. المتقون والقرآن:

أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلاً. يحزّنون به أنفسهم ويستثيرون به دواء دائهم، فإذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً، وتطلّعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنّوا أنها نصب أعينهم، وإذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وظنّوا أنّ زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم،

5. المتقون والصلاة:

فهم حانون على أوساطهم، مفترشون لجبابهم، وأكفّهم وركبهم وأطراف أقدامهم، يطلبون إلى الله تعالى في فكاك رقابهم.

6. المتقون في النهار:

- **الحلم والعلم:** وأما النهار فحلماء علماء،

- **التقوى:** أبرار أتقياء، قد براهم الخوف بري القداح ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض ويقول قد خولطوا ولقد خالطهم أمر عظيم.

7. المتقون وأعمالهم:

- **الميزان:** لا يرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون،

- **التواضع:** إذا زكّي أحدهم خاف مما يقال له فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري، وربي أعلم بي من نفسي، اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني أفضل ممَّا يظنّون، واغفر لي ما لا يعلمون.

8. علامات المتقين:

- **القوّة:** فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوّة في دين،

- **الحزم:** وحزماً في لين،
- **الإيمان:** وإيماناً في يقين،
- **العلم والحلم:** وحرصاً في علم، وعلماً في حلم،
- **الاقتصاد:** وقصداً في غنى،
- **الخشوع:** وخشوعاً في عبادة،
- **الصبر:** وتجمّلاً في فاقة، وصبراً في شدّة،
- **الحليّة والنشاط:** وطلباً في حلال ونشاطاً في هدى، وتحرّجاً عن طمع، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل،

9. صباح ومساء المتقين:

- **المساء:** يمسّي وهمّه الشكر،
- **الصباح:** ويصبح وهمّه الذكر،
- **الحذر:** يبيت حذراً ويصبح فرحاً، حذراً لما حذّر من الغفلة،
- **الفرح:** وفرحاً بما أصاب من الفضل والرحمة.

10. آليات ووسائل تهذيب النفس:

إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب، قرة عينه فيما لا يزول، وزهادته فيما لا يبقى، يمزج الحلم بالعلم، والقول بالعمل، تراه قريباً أمله، قليلاً زلله، خاشعاً قلبه، قانعة نفسه، منزوراً أكله، سهلاً أمره، حريزاً دينه، ميتة شهوته، مكظوماً غيظه، الخير منه مأمول، والشر منه مأمون، إن كان في الغافلين كتب في الذاكرين، وإن كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين.

11. في الأخلاق والعلاقات الإجتماعيَّة:

يعفو عمّن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه، بعيداً فحشه، ليّناً قوله، غائباً منكره، حاضراً معروفه، مقبلاً خيره مدبراً شره، في الزلازل وقور، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور، لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن يحب، يعترف بالحق قبل أن يشهد

عليه، لا يضيّع ما استحفظ، ولا ينسى ما ذكّر، ولا ينابز بالألقاب، ولا يضارّ بالجارّ ولا يشمت بالمصائب، ولا يدخل في الباطل، ولا يخرج من الحق، إن صمت لم يغمّه صمته، وإن ضحك لم يعلُ صوته، وإن بُغي عليه صبر حتى يكون الله هو الذي ينتقم له، نفسه منه في عناء، والناس منه في راحة. أتعب نفسه لآخرته، وأراح الناس من نفسه، بعده عمّن تباعد عنه زهد ونزاهة، ودنوّه ممن دنا منه لين ورحمة، ليس تباعده بكبر وعظمة، ولا دنوه بمكر وخديعة.

النتيجة والتأثير:

قال فصُعق همّام صعقةً[1] كانت نفسه فيها، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أما والله لقد كنت أخافها عليه، ثم قال: هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها.

فقال له قائل: فما بالك يا أمير المؤمنين؟

فقال عليه السلام: ويحك إن لكلّ أجل وقتاً لا يعدوه وسبباً لا يتجاوزه، فمهلاً لا تعد لمثلها فإنّما نفث الشيطان على لسانك» انتهى.

وقفة تأمّل..

بعد النظر في هذه الخطبة القيّمة نجد الجانب الفنّي في العديد من الحيثيّات، سواءاً في المضمون حيث العرض الوافي، فضلاً عن الشكل من جهة أخرى، حيث التجزئة الخطبة على أساس عناوين رئيسة وأخرى فرعيّة، ومن جهة ثالثة استعمال المعاني والألفاظ الفصيحة والمؤثرّة لحد «صُعق همّام» على إثرها، والتي تعبّر عن واقع الحال، فطلبُ همّام من الإمام علي عليه السلام أن «صفْ لي المتقين حتى كأنّي أنظر إليهم» يعود لمعرفة همّام بفنّ البلاغة التي يملكها أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(1) صعق: غُشي عليه.

الفصل السادس

الواقع الفني بين الواقع والمأمول

أوّلاً: الفنّ للأطفال

أ- الفنّ الكرتوني والعقيدة المنحرفة

ب- العنف والعروض الكرتونيّة

ج- العروض الكرتونيّة والخرافة

د- كرتون الحبّ والغرام

ثانياً: الفنّ للمرأة

أ- الفنّ التمثيلي والمرأة

ب- الأساليب التي اتَّبَعها أهلُ الفنّ لإفساد المرأة

ثالثاً: السيطرة الغربيّة على الفنّ

أ- الجريمة في الأفلام الأجنبيَّة

ب- السيطرة اليهوديّة على وسائل الفنّ

رابعاً: صور من حياة أهل الفنّ

تنويه :

يأتي هذا الفصل لملاحظة قضيّة مغيّبة عن الدراسة والتحقيق والبحث العلمي فضلاً عن التقييم وتشخيص الإنحـراف وهي قضيَّة الفنّ الموجّه للأطفال، تلك الفئة العمريّة ذا الخصوصيَّات الفائقة بالحساسيّة والدقّة، فمن الكرتون إلى الأغاني والأناشيد المسمّات إسلاميّة إلى العروض التي تهتك في الأطفال، إنَّ هذا الأمر يستدعي وقفة وتأمّل، وبحثاً، وكتابة، وتشهيراً، بل إعلان صرخة استنكار أمام ما يحدث ويجري ونحن في غفلة وسبات!!!...

فتنبّه أيها القارئ جيّداً..

الواقع الفنّي بين الواقع والمأمول

أوّلاً: الفنّ للأطفال

أ- الفنّ الكرتوني والعقيدة المنحرفة:

إنّ ثمّة مسلسلات كرتونيّة عُرضت على أطفال المسلمين بعناوين مختلفة، تحكي قصصاً متنوّعة، بل ظهر منها ما هو مخلّ بالآداب والشريعة الإسلاميّة.

إنّ هذه العقيدة التي تنادي بها مثل هذه المسلسلات والعروض منافية تماماً لعقيدة التوحيد، إنّها العقيدة السائدة في الغرب، فكيف نُرَوِّجها في مجتمعاتنا المسلمة دونما فحْصٍ أو تمحيص؟!

إنّها عقيدة تقوم على مخالفة الشرع الإسلامي، وهذه العقيدة تظل تتسلّل إلى نفس الطفل في ثوب برَّاقٍ، وهنا تتلاطم المفاهيم في عقل الطفل، المفاهيم التي تربَّى عليها، والعقيدة التي نشأ ودرج على اعتناقها، والمفاهيم التي يتلقَّاها من خلال هذه العروض، فتتزعزع عقيدته الأصيلة في جلسة مشاهدة قد لا يلقي لها الأهل بالاً، بل قد يدفعون أطفالهم إليها بحجَّة التسلية والترفيه، ومن هذه المسلسلات الكرتونية التي تدعو إلى العودة إلى عبادة الأصنام، من خلال تمجيد عبدة الأصنام والتي تجلّت بحلتها المثيرة ومشاهدها الأخّاذة فبهرت العيون وسلبت العقول، وقد ظهر في أحد عروضها صنمٌ من حجارة، وقف الناس أمامه بذلّة وخضوع يتوسَّلُون إليه، ويدعونه عند المصائب والكوارث، فهم يعبدونه!!..

ولا شكّ أنّ هذه العروض تؤثّر على الطفل، فلا عجب أن ترى طفلاً يحدّث دميةً أو ناراً يتوسّل إليها لتنفيذ رغباته - مع علمنا بأنَّ الطفل يحاكيها لَعِبَاً وتسليةً غير أنّه ينطلق وفق صور ذهنيّة لا نرضاها – وفي عروض أخرى نجد «المغامرات الكرتونيّة» تُظهر عقيدة المجوس في تقديسهم للنار، وتقديمهم القرابين لها.

أهذا فنّ للأطفال!! أم هو فتنة للأطفال!!

الجواب يُحدّد مصير أطفالكم...

ب - العنف والعروض الكرتونيَّة:

إن كثيرًا من هذه العروض تقوم على صراعات متتالية، تكاد لا تنتهي إلا بانتهاء العرض، مثل الصراع الدائر بين القط والفأر في «توم وجيري»، و«بوبّاي» وتنافسه الدائم مع بحار آخر على امرأة، وغيرها كثير مثل البطة «دفي دك»، وتاوتاو»، والأرنب «باغني»، والقاسم المشترك بينها جميعًا اعتماد العنف والصراع وسيلة لتحقيق المبتغَى، مما يؤصِّل اعتماد تلك الوسيلة لدى الناشئ في حياته اليومية الواقعيَّة، وقد أثبتت الدراسات في علم النفس أن ثمة تناسبًا طرديًّا بين معدّل الانحراف لدى الصغار، ومشاهدة أعمال العنف.

فإذا كان هذا الحال بالنسبة لأطفال الغرب، فكيف بأطفالنا الذين لا تناسبهم هذه الأعمال لا نفسيًّا ولا سلوكيًّا ولا دينيًّا؟!

ج- العروض الكرتونيَّة والخرافة:

تبتكِر العروض الكرتونية شخصيات خيالية لا وجود لها في الواقع، غير أنّها تسبغ عليها هالة من الخرافة والقوة والعظمة المفرطة، ما يجعل تجعل قلوب الناشئة تتعلق بها، مثل: «جريندايزر»، و«سوبرمان»، وغيرها.

ومع أنَّ تاريخنا الإسلامي والعربي حافل بشخصيات كانت مثالاً يحتذى في المعرفة والسلوك والتضحية والبطولة، إلا أننا لا نجد من يظهر هذه الشخصيات في عروض كرتونية عربيّة تنافس هذه العروض الموجودة على الساحة، والتي لا تتناسب مع أفكارنا وسلوكياتنا ومبادئنا إلاَّ في الآونة الأخيرة، ولكن هل هي بحجم الفنّ المبتذل والمفتن، وهل هو البديل الكافي؟ ففي كل يوم نراهك يصدرون جديداً!!..

فما هو جديدنا!!..

د- كرتون الحب والغرام:

تهدف كثير من هذه العروض إلى غرس روح التفلُّت من القيَم النبيلة في العلاقة بين الجنسين، حيث يتم فيها التركيز على التبرُّج والخلاعة والرقص وقصص الغرام المتبادل بين الذكر والأنثى، وجوانب الإغراءات التي تنبّه في الطفل العواطف الخاصة والمشاعر الحميمة التي تكون عادة بين الراشدين من الرجال والنساء، وهذا بلا شك له تأثيره المدمِّر على سلوك الطفل وأخلاقه.

إننا وبحكم المسؤولية الشرعيّة والإنسانيّة نرى لزاماً علينا أن نطرح تساؤلاً هامّاً وضروريّاً، وهو هل ما يشاهده أطفالنا يرضى عنه شارعنا المقدّس؟ مع الإلتفات إلى الاختلافات الثقافية والأسريّة والعلميّة والدينيّة، وهل تنطلق هذه العروض من وحي ثقافتنا وأصالتنا الإسلاميّة؟

من الطبيعي أنّ جهة الإجابة تحتّم موقفاً وإجراءات..

ولكن متى؟ وكيف؟

ثانياً: الفنّ للمرأة

أ- الفنّ التمثيلي والمرأة

لم تكرّم المرأة في أي عرفٍ أو قانون أو ملة أو دين مثلما كرَّمها الإسلام، فبعد أن كانتْ في الجاهلية متاعًا من متاع البيت، وكانتْ لا ترث بل تورثْ مع المال، جاء الإسلام فكرَّمها أعظم تكريم؛ لأنها هي التي تقود المجتمع إلى المعالي إذا صلحتْ، فهي الأم التي تربِّي العالِم، والمفكِّر، والأديب، والقائد الفذّ، والعامل الكادح، وهي الزوجة الصالحة التي تقيم أركان الأسرة.

ولمّا كان دورُ المرأة بهذه الخطورة صوّبت السهام إليها لإفسادها؛ لأنَّ فسادها فساد المجتمع برمّته، فتارة يخاطبون عقلها لحملها على اعتقاد ما يخالف دينها وعقيدتها، وتارة ينشّطون فيها مكامن الضعف البشري المادي؛ لتكون نزّاعة إلى الهوى وزخرف الدنيا.

لقد حاول دعاةُ التغريب أن يخلعوا عن المرأة المسلمة ثوب العفاف والطهارة والقيَم الإسلامية، ويلبسوها ثوب التمرُّد على شرع الله وعلى القيم الإسلامية عبر مسرب الفن؛ فالمرأة المسلمة تشاهد كل يوم مسلسلات تدعو إلى نبذ الحجاب، وتدعو إلى الاختلاط، وإقامة علاقة مشبوهة مع الجنس الآخر، فتتدرج بها من الرفض المطلق لهذه المحرمات إلى عدم المعارضة لها، ومن ثم إلى القبول والرضا عنها، ومن بعدها إلى الاعتقاد بأحقِّيَّة ما يعرض، وفي نهاية المطاف التردّي التام في مهاوي الهوى بممارسة تلك الأفعال المحرّمة، فبعد بثّ تلك المعارف وجعلها اتجاهاً لها أمست سلوكاً عمليّاً تقوم على أساسه.

ب- الأساليب التي اتَّبَعها أهلُ الفنّ لإفساد المرأة

أولاً: جعل المرأة عنواناً للحب والجنس

عمَد أهلُ الفنِّ إلى استغلال المرأة باسم الفن، فخدشوا حياءها، وجعلوها نبع إثارة لا يتوقف، بنظراتها المغرية، وبنبرة صوتها الخاضعة، وبسائر مفاتنها؛ وذلك لتحقيق أهداف هابطة لا صلة للإنسانية بها، فدمّروا الأخلاق والسلوكيات من خلال التعلّق بالحب والهوى، فتعلَّقت المرأة بذلك حتى أصبح إنشاء علاقات غرامية مع الجنس الآخر أمرًا لازمًا لتحقُّق الحب، وتكتسب ثقة صديقاتهن والتفاخر بذلك لديهن.

ثانيًا: اتخاذ المرأة وسيلة لترويج السلع

حيث تُقَدم الإعلانات عن السلع التجارية نماذج إغرائية من فتيات مراهقات، قد جعلن العمل في الإعلانات بوابة الدخول إلى عالم الفن، ولتثبت الفتاة جدارتها فإنها تقوم باستعراض مواهبها الفاتنة، ومن أثر هذه الإعلانات المروّجة اندفاع المرأة المعاصرة إلى الإسراف والاستهلاك الزائد للسلع.

ثالثًا: تشويه صورة المرأة المسلمة للتنفير منها

لا شكّ أنّ صورة المرأة التي تعرض عبر مسارب الفنّ المختلفة لا تشبه بأي حال من الأحوال صورة المرأة المسلمة الملتزمة بدينها وحجابها وعفتها وحيائها وقيمها، بل إنّها صورةٌ مشوّهة بعيدة كل البعد عن واقعنا الإسلامي، وإذا وجد في الواقع نماذج لها، فهي قليلة نادرة

لا تُمَثِّل الإسلام في شيء.

رابعاً: توجيه اهتمام المرأة نحو الأناقة النسائية

تتنافَس الفنّانات في تقديم كل ما هو مستجد في عالم الأزياء والموضة، فيعرضن كل ما يبهج النفوس الضعيفة، وبشتى الألوان والمقاييس، وباتتْ تُقلدهن بعض النساء اللائي وقعن في حب التقليد الأعمى والإنبهار بالفنّانات فأرهقن أنفسهن وأزواجهن بمتابعة الموضة.

نعم، لقد أذن الإسلام للمرأة بالتجمّل، ولكن وضع لها ضوابط؛ كي لا تكونَ فتنة؛ فقال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾[1].

ونهاها عن التعطُّر إذا خرجتْ من بيتها، كما نهاها عن الإسرافِ والتبذير الذي هو سمة الفنّانين والفنّانات وديدنهم في جميع تصرُّفاتهم.

خامساً: دعوة المرأة إلى تحقيق الذات والإستقلال

بعض النساء ألجأتهنّ الضرورة للعمل لتكون عضدًا لزوجها، أو لتعيل أطفالها من بعده، أو لتسدّ ثغرة في الوظائف المختصّة بالمرأة في المجتمع، هؤلاء النسوة لا غبار عليهن، ولسن محلاً للنقد هنا بل هم أرقى من ذلك، لكنّ بعض النساء يخرجن للعمل من أجل تقليد الفنّانات، والتأثّر بأفكارهن، أو بأفكار دعاة التغريب الذين يريدون هدم القيم الأصيلة في مجتمعاتنا الإسلامية؛ بحجّة تحقيق الذات والإستقلال وتأمين الموارد الماليّة حتّى لا يُتحكّم بهنّ كما يدّعين، فصرن سلعة رخيصة في أيدي التجّار، وصرْن أشبه بالإماء والجواري.

سادساً: تشويه مقوّمات بناء الأسرة المسلمة

كثيرة هي الأعمال التي تؤكّد على إظهار الرجل بصورة المتسلّط المنتزع من المرأة حقوقها، وذلك لإضعاف المعنى الحق للقوّامة، وكذلك حثّ المرأة على مخالَفة هدي الإسلام؛ كالقرار في البيت، والقيام بتربية الأولاد، وذلك لِهَدْم البيوت، وتفْتيت الأسرة.

سابعاً: المحاربة المستميتة لمسلّمات شرعيَّة

وذلك من خلال الحديث المستمر عن تعدُّد الزوجات، وفرضيّة الحجاب، ووجوب ترك الاختلاط بالرجال الأجانب؛ مما يؤدي بالضرورة إلى تشويه الصورة النقيَّة للإسلام في أذهان

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: 33.

العامة باستشهادهم بنماذج غير مستوفاة للشروط الإسلاميّة والتوجيهات المحمّديّة، ما يجعل المشهد قاتماً غير مقبول.

ثالثاً: السيطرة الغربيّة على الفنّ

إنّ الحديث عن هذا العنوان فيه ما فيه من الإشمئزاز لما يستدعي ذكراً لأحداث وأسماء يرقى القارئ عن ذكرها، إلاّ أنّه ولغرض التعرّف أكثر على الواقع الفعلي للفنّ المبتذل نورد التالي:

أ- الجريمة في الأفلام الأجنبيَّة:

لقد أثّرتْ أفلام العنف والجريمة على الشباب المتابعين لها؛ سواء في أمّتنا، أم في الأمم الأخرى، فقد نشرت الصحف البريطانية جريمة اغتصاب وقتل، بطلها «ريتشارد لوماس» البالغ من العمر 17 سنة، والذي ارتكب جريمتي الاغتصاب والقتل بعد مشاهدته فيلم للممثلة «جين فوندا»، بعنوان «صباح جديد»، هذا الفيلم الذي يجسد كيفية اغتصاب سيدة، وقتلها في مكان الإستحمام.

لقد تحوّل هذا الشاب إلى مجرم بعد مشاهدته لهذا الفيلم، ولهذا قال المدّعي العام في هذه القضية: «إن مثل هذه الأفلام تدمّر عقول الأطفال والشباب، وتتسبّب في حدوث جرائم بشعة»، وطالَبَ المسؤولين بتشديد الرقابة على مثل هذه الأفلام.

ب- السيطرة اليهودية على وسائل الفنّ:

منذ أكثر من مائة عام والصهاينة يؤكّدون بل يعملون على السيطرة على وسائل الإعلام العالمية؛ لتحقيق أطماعهم الاستعمارية، وأحلامهم التوسُّعية، وإقناع العالَم بأنهم المغلوب على أمرهم، وأنهم أصحاب الحقِّ الضائع، وقد عبَّر الحاخام اليهودي «راشورون» في خطابٍ ألقاه في مدينة «براغ» عام 1869م عن شدة حاجة اليهود إلى الإعلام قائلاً: «إذا كان الذهب هو قوتنا الأولى للسيطرة على العالم، فإن الصحافة ينبغي أن تكونَ هي قوتنا الثانية».

وبالفعل وضعوا خططهم للسيطرة على الإعلام العالَمي في مؤتمرهم الأول في «بال»

بسويسرا 1897م بقيادة الصحفي اليهودي «تيودور هرتزل»، وانطلقوا منذ هذا التاريخ يُنَفِّذُون خططهم، فأسسوا صحفًا يهودية، وامتلكوا شركات سينمائية وإنتاجية ومسارح لتحقيق أهدافهم وأطماعهم.

ومن هذه السيطرة نعرض المصاديق التالية:

أ- سيطرة اليهود على الصحافة:

تمكّن اليهود من السيطرة على أكبر الصحف في بريطانيا كصحيفة «التايمز»، و«الصنداي تايمز»، و«الديلي إكسبرس»، و«الأوبزرفر»، وفي أمريكا على صحيفة «نيويورك تايمز»، و«واشنطن بوست»، و«الديلي نيوز»، و«صن تايم»، ومجلة «فاريتي» الفنيّة، وفي فرنسا على صحيفة «لوفيجارو»، و«لوكوتيريان»، ومجلة «نوفوكاييه»، و«الإكسبريس».

وغير هذه الصحف والمجلات كثير، لدرجة أن الكيان الصهيوني أعلن أن الصهيونيَّة لها في العالم «889» صحيفة، وفي هذا الكمِّ الهائل من الصحف تُتاح مساحة كبيرة للفنِّ لتوجيه الرأي العام وإفساد الشعوب.

ب - سيطرة اليهود على دور السينما:

امتدَّ نُفُوذ اليهود والصِّهيونية العالمية في الدول الكبرى، وسيطروا على السينما العالمية، وتشير الإحصائيات إلى أن أكثر من 70 % من مجموع العاملين في الحقل السينمائي الأمريكي إنتاجًا، وإخراجًا وتمثيلاً وتصويرًا ومونتاجًا هم من اليهود، لقد أمسكوا بزمام الأمور في هوليود مدينة الفنّ العالمية، وفي بريطانيا يملك اللورد «لفونت» اليهودي «280» دارًا للسينما.

نعم، لقد تَمَكَّن اليهود من السيطرة على هذا الشريان الحيوي، واستخدموه في تنفيذ أغراضهم، فنشروا من خلاله الأفلام الإباحية، والأعمال المسيئة للعرب والإسلام، والأعمال التي تُمَجِّد اليهود.

ج - اليهود وإنتاج الأفلام المسيئة للعرب وللمسلمين:

دأب اليهود على تقديم الأعمال التي تهين المسلم بصفة عامّة، والعربي بصفة خاصة، وتسيء إليه، فتُصَوِّره على أنه رجل لا يعرف من الرجولة إلا الشهوة والملذّات، على نحو ما عرض في فيلم «الليالي العربية» الذي أنتج عام 1905م، وفيلم «الشيخ» الذي أنتج عام 1921م، وفيلم «الهدية» الذي يعدّ أشدّ الأفلام إساءة للمسلمين العرب، وهناك أفلام أخرى؛ مثل: «أمريكا.. أمريكا»، و«الحريم»، وكلّها مسيئة للعرب وللمسلمين.

د- ترويج اليهود لأفلام تمجّد اليهودية:

عكف اليهود على بثّ الأعمال التي تحسِّن من صورة اليهودي، وتستجدي الشعوب للتعاطف معه، وأول هذه الأعمال فيلم «لحن الحياة»، الذي ظهر في أوائل الثلاثينيات، وفيلم «ملك الملوك» الذي أنتج عام 1937م، والذي ألح على تأكيد براءة اليهود من دم المسيح، ومن هذه الأفلام التي تقدم الدعاية لليهود فيلم «عبر النيران»، و«رجل الماراثون»، ومن العجيب أن أحد أثرياء العرب قد قام بتمويل فيلم من هذه الأفلام، وهو فيلم «عربات النار».

هـ - سيطرة اليهود على المسرح:

هَبَّ اليهود للسيطرة على المسارح البريطانية، وذلك بعد تقديم مسرحيّة «تاجر البندقية»؛ لشكسبير، والتي فضحت اليهود وأظهرت بعض جوانب مكرهم، فاستولى اليهود على جميع المسارح في بريطانيا، لدرجة أن هذه المسرحية «تاجر البندقية» لم تجد مسرحًا واحدًا لتعرض عليه من جديد، وبدأ اليهود من خلال المسرح يمارسون أعمالهم الإجرامية في الإساءة للعرب المسلمين على مسارح أوروبا، فقدّموا مسرحيّة «القشعريرة»، التي تدور قصّتها حول رجل عربي اسمه «محمّد العربي» - لاحظ المكر في اختيار الاسم - الذي يبذّر أمواله لإشباع شهواته من خمر ونساء.

فضلاً عن الإنتاج الجديد حول فيلم طويل يبرز النبي الأعظم ﷺ بصورة لا تليق والمقام المقدس له، والذي أنتجه أعداء الإسلام من المتصهينين الأمريكيين، وبكل وقاحة وسذاجة

تظهر الإدارة الأمريكيّة بصورة مبررت لذلك العمل.

كما قدَّموا المسرحيات الإباحيّة التي تنشر الرذيلة والفاحشة، كما في مسرحية «هير» التي يظهر أبطالُها على خشبة المسرح عراة، يمارسون الفاحشة على مرأى ومسمع من الجماهير.

و- سيطرة اليهود على محطّات التلفزة العالميّة:

هناك في أمريكا وحدها أكثر من مائة شبكة تليفزيونية، وتعدّ الشبكات الثلاث المسمّاة A.B.C، وC.B.S، وN.B.S أشهر شبكات تليفزيونيّة في العالم، وهي تحت سيطرة الصهيونيّة العالميّة، ولهذه الشبكات سياسات وخطط في إنتاج وتقديم البرامج والأفلام المتنوّعة وتوزيعها على تليفزيونات العالم، فهم يُقَدِّمون كل ما يتماش مع الأهداف الصهيونية في السيطرة على العالم كله، وكل ما ينسجم مع مبادئهم في إفساد الأخلاق، وإشاعة الرذيلة، وتشويه العرب والمسلمين، وتمجيد اليهود.

رابعاً: صور من حياة أهل الفنّ

إنّ حياة أهل الفنّ غالباً ما تكون مليئة بالفساد والرذائل، فلا تكاد تكتشف شبكة دعارة، أو تجسس أو وكر للمخدرات، إلاّ وكان للفنّانين دورٌ بارزٌ، ولمسات واضحة فيها، فكم منهم من تردّى في حفر الإدمان!..

وكم منهم مَنْ ذلَّ رقبته لأعداء الأمة يتجسّس لصالحهم ضد أمّته ووطنه! وكم منهم من لهث وراء شهواته! ومَنْ فرّط في عرضه وشرفه من أجل الوصول إلى الشهرة والنجوميّة!

أولاً: الفنّ وترويج الإدمان

أفلام المخدرات على بعض الشاشات العربيّة لا حصر لها، يدَّعي القائمون عليها بأنّهم يحاربون المخدرات من خلال هذه الأفلام، لكنّهم في الحقيقة يُرَوِّجون لها من خلال تعريف المشاهد بها، وكيفية تعاطيها، وكيفية ترويجها، ولا غرابة في ذلك فبعض أهل الفنّ غارقون

في المخدرات، وهاك بعضًا من قصصهم.

فهذا ممثل مشهور لقِدَم تاريخه الفنّي، فقد رآه كل الناس على شاشات التلفاز، وهو يؤدِّي الدور النَّزِيه، ذات ليلة تعاطَى كميّة كبيرة من المخدّرات، فأردته صريعاً على الفور.

وقد يندهش القارئ عندما يعلم أنّ الموسيقار الكبير، ورائد النهضة الموسيقية في العالم العربي كان مدمناً للمخدرات، ظلَّ هذا الموسيقار يتعاطى المخدرات لعشرات السنين بدعوى طلب الإبداع، وهي خدعة خُدع بها، ولقي مصرعه إثر تعاطيه جرعة زائدة منَ الكوكايين.

وآخر يعمل في إطار الإخراج الفنّي تردّي في مستنقع المخدّرات الذي ضبطته الشرطة في وكْرٍ لتعاطي الهيروين، وأثبتت الفحوص والتحاليل المخبريّة تعاطيه الهيروين مع محاسب قانوني يتردَّد إلى شقّته بصفة دائمة.

وهناك الكثير من الممثلين الذين نُشرت فضائحهم في الصحف والمجلات، واشتهروا بالاتجار في المخدّرات، أو تعاطيها.

ثانياً: الفنّ في خدمة الكيان الصهيوني

نقلت جريدة عربيّة معروفة عن برنامج تليفزيوني إسرائيلي أنّ فنّانات مشهورات - من بلد عربي معروف بالتمثيل والسينما - قد تعاونت مع جهاز المخابرات الإسرائيلي «الموساد»، وذلك في الخمسينيّات والستينيّات، فلقد ورد خلال هذا البرنامج حوار هاتفي بين مقدّم البرنامج وأحد ضيوفه من الجمهور، وكان الضيف ضابطاً في الجيش الإسرائيلي يُدعى «ميشيل»، وقد تلقى مكالمة من مشاهدة مؤكّدة أنّها عملت معه خلال عملها في السينما، وأشارت في مكالمتها إلى تورُّط فنّانات أخريات مع جهاز الموساد.

ثالثاً: الفنّ حرام في شهر رمضان فقط!..

الفنّانة الراقصة والتي تعيش في أهم الدول العربيّة تقوم خلال شهر رمضان بتجميد كل أنشطتها الفنيّة، وتقضي كل أوقاتها في العبادة والصلاة وتأدية الواجبات الدينيّة والعائليّة، ولكن ماذا بعد شهر رمضان؟!

إنّ هذا التناقض واقع عند كثير من أهل الفنّ، ممّا يدلّ على شعورهم الدخلي باكتسابهم الآثام نتيجة فنّهم، ما يستدعي محاولة التخلُّص منها في شهر رمضان المبارك.

رابعا: اعتراف مخرج عالمي

من الصعب أن يتكلّم المرء عن هفواته، لكن في لحظة ضعف - ولعلّها تعقُّل - قد يتفوّه بما يعبّر عن مأساته النفسيّة التي يعاني منها، فهناك من الفنّانين من تحدّث بإنصاف وتعقّل، فجاءتْ أقوالهم شاهدًا على مساوئ أهل الفنّ ومخازيهم، فماذا قال المخرج العالمي «مصطفى العقّاد»: «أؤكّد أنّ بعض المخرجين العرب قد شاركوا اليهود في السخريّة من الحضارة العربيّة».

الفصل السابع:

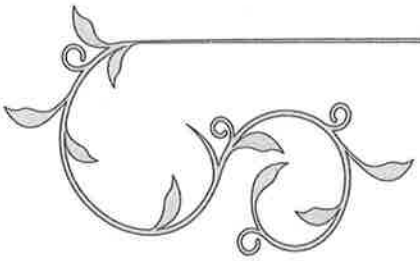

الفن دارسة استدلاليّة وفق المنهج الفقهي

أولاً: مقدّمة

ثانياً: تأسيسات أصوليّة وفقهيّة

ثالثاً: مسائل للبحث الفقهي

أولاً: الغناء واللهو

ثانياً: الموسيقى

ثالثاً: الرسم والنحت والتصوير

رابعاً: الرقص والتمثيل

خامساً: الشعر والقصّة والأدب

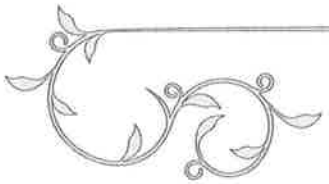

الفنّ دارسة استدلاليّة وفق المنهج الفقهي

أولاً: مقدّمة[1]

حيث ان الإسلام تشريع كامل يتناول كلّ نواحي الحياة، فلا بدّ من أن يتناول أنواع الفنون بالأحكام التكليفيّة الخمسة: الوجوب، والحرمة، والإستحباب، والكراهية، والإباحة[2].

وإذا لم يتناول النصوص بعض ما لم يكن موجوداً في زمن التشريع (كالتمثيل)، فقد جُعلت بعض الأصول التي تهدي المكلّف إلى الحكم أو الوظيفة الشرعيّة، وذلك بحسب الترتيب في جريان الأدلّة والأصول، وهي:

أولاً: أن يحاول المكلّف الوصول إلى قطع بالحكم.

ثانياً: فإن لم يجد، يحاول الوصول إلى أمارة معتبرة من خبر واحد، أو سيرة أو شهرة، أو ظنّ مطلق.

ثالثاً: فإن لم يجد ووقف المكلّف محتاراً يسأل نفسه ماذا يصنع؟ فقد جعل له المولىّ حينئذ أصولاً عمليّة تدلّه على وظيفته العملية، وهي مجرّد عمل على قول - ومنهم الشيخ الأعظم الأنصاري رحمه الله - أو تنشئ أحكاماً ظاهريّة على قولٍ آخر - ومنهم الشيخ الآخوند صاحب الكفاية رحمه الله - أو أحكاماً واقعيّة على قول القائلين بالسببيّة أو التصويب.

هذا كلّه في استكشاف الأحكام، وتسمّى الشبهة فيه شبهة حكميّة أي أننا لا نعلم ما هو الحكم.

---

(1) فضل الله، عبد الكريم، الفنّ في الفقه الإسلامي، ط1، قم - إيران، الأمانة العامة للمؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى المئويّة الثانية لميلاد الشيخ الأعظم الأنصاري رحمه الله، مطبعة باقري، خريف 1373 هـ.ش.

(2) قصداً للإيجاز بدأ المؤلّف هذا الفصل بمقدّمة أصوليّة موجزة في ما هو المهمّ إثبات الأحكام التي تلحظ المهمّ في إثبات الأحكام التي سترد في هذا الفصل، واقتصر فيها على رأي الشيخ الأنصاري من القدامى، ورأي المشهور، وما ذكره الإمام الخميني والإمام الخوئي قدّس سرّهما من المتأخرين، وبعض من فقه المذاهب الأربعة، وترك المؤلف الكثير من الاستدلالات قصداً للإيجاز دون إخلال بالمراد.

والشبهة الحكميّة لها أسباب حصرها الشيخ الأنصاري بثلاثة:

1 - فقدان النصّ.

2 - إجمال النصّ.

3 - تعارض النصّين.

ثانياً: تأسيسات أصوليَّة وفقهيَّة

أ- الشبهة المفهوميَّة:

وأمّا في إثبات المفاهيم الواردة في النصوص مثل مفهوم الغناء، فقد عمد الفقهاء إلى الترتيب الآتي:

1. أن نطرق باب الشارع لنرى إن كان لديه مفهوم خاصّ، فيكون حقيقة شرعيّة، ونأخذ به.
2. فإن لم يكن نطرق باب العُرف الموجود آنذاك لنرى إن كان لديه مفهوم خاصّ فنأخذ به، فحيث لا يكون حقيقة شرعيّة نأخذ بالحقيقة العرفيّة لأن الشارع يتحدّث عن عرف الناس في زمنه.
3. فإن لم يكن نطرق باب اللغة، إذ مع انعدام الحقيقة الشرعيّة والعرفيّة لا بدّ من الأخذ بالحقيقة اللغويّة.
4. فإن لم يكن تعود المسألة شبهة مفهومية، حيث اننا لم نستطع إثبات مفهوم مراد الكلمة، ونرجع إلى ما يقتضيه الأصل.

هذا كلّه في إثبات المفهوم.

ب - الشبهة المصداقيَّة:

وأمّا في إثبات المصاديق - وذلك كما إذا علمنا حكم الغناء، وعلمنا مفهومه، ولكنّا نشّك في هذا الفعل الخارجي: هل هو مصداق للغناء أم لا؟ وتسمّى الشبهة حينئذ مصداقيّة، ولم يعمد الشيخ الانصاري رحمه الله إلى ذكر أسبابها، لأن أسبابها الأمور الخارجيّة، وهي لا تحصر ولا تحصى - فتثبت:

٥. إما بالقطع.

و. وإما بإمارة معتبرة في الموضوعات، كشاهد عدل أو شاهدين، أو خبر ثقة، أو حسن ظاهر، أو شهرة معتبرة.

ز. وإما أن تعود المسألة شبهة مصداقية، ونرجع إلى ما قرّر هناك: إلى الرجوع للعمومات مطلقاً كالمشهور بين القدماء، أو الرجوع إلى المعلومات مع المخصّص اللبّي - أي ما لم يكن لفظياً - وعدم الرجوع إليها مع المخصّص اللفظي والرجوع إلى أدلّة أخرى كما هو عليه شيخنا الأعظم الأنصاري رحمه الله، أو غير ذلك.

ج- الفرق بين العلّة والمناط:

وهو أنّ الأحكام تابعة في عالم الثبوت للمصالح والمفاسد: سواء كانت المصلحة والمفسدة في متعلّق الحكم كما في «الخمر حرام»، حيث تكون المفسدة في نفس الخمر.

أو المصلحة والمفسدة في جعل الحكم كما لو أنّ في المثال المذكور لا مفسدة في الخمر، بل المصلحة في نفسه جعل حرمته، كما في الأوامر الإمتحانيّة والإختبارية - وإن كنّا لا نفهم المصلحة في الجعل في مثل أيّامنا هذه حيث لا إمتحان ولا إختبار لأحد ويكفي امتثاله للأحكام الشرعيّة ذات المصالح والمفاسد.

هذا في عالم الثبوت.

وأمّا في عالم الإثبات، فحيث لا نستطيع إدراك المصالح والمفاسد، فإنّ الله عزّ وجل قد جعل باستكشاف مناطاتها التي يمكن إدراكها.

ونقصد بالمناط:

هو ما يدور حوله الحكم وجوداً وعدماً في مقام الإثبات والبرهان، وبهذا يفترق عن علّة الحكم، لأن العلّة هي ما يدور حوله الحكم وجوداً وعدماً في مقام الثبوت.

ومن هنا نفرّق بين إثبات الحكم وبين إثباته بوحدة المناط.

حيث ثبت بطلان الأول من دون الثاني، وذلك لأنّ القياس تسرية للحكم من موضوع معلوم الثبوت إلى آخر مجهول ثبوت الحكم بواسطة العلّة - وهي المصلحة الواقعيّة - كثيراً ما لا تكون قابلة للإستكشاف «إنّ دين الله لا يصاب بالعقول»[1].

(1) النوري، مستدرك الوسائل، ط2، بيروت - لبنان، الناشر والمحقّق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث عن الإمام

وهذا بخلاف إثبات الحكم بوحدة المناط، وهو تسرية الحكم من موضوع معلوم ثبوت الحكم له إلى موضوع مجهول الحكم بواسطة وحدة المناط.

والمناط يمكن استكشافه لأنّه من عالم البرهان والإثبات، ويعتمد إلى حدّ كبير على الإستظهار، وعالم الظواهر ليس مغلقاً غالباً أمام المكلّف، بخلاف عالم الواقع.

إذا عرفنا هذا: فينبغي أن نعلم أنّ المناط تارة يكون أمراً خارجياً بعينه كالخمر والنرد - على قول - وتارة يكون أمراً عامّاً كالإسكار والإفساد والقمار.

وهنا أحبّ أن أشير إلى أنّه ليس من شأن الشارع المقدّس وحكمة التشريع أن ينظر إلى أمر شخصي خارجي، كهذا المكعب - النرد - أو هذه الآلة فيحكم عليها بما أنّها كذلك، لا بعنوان الإفساد أو القمار أو اللهو، بل من شأنه أن يعلّق الأحكام بالأمور العامّة والمناطات الشاملة التي تؤدي إلى صلاح أمر المكلّف.

من هنا، فإن أهمّ وظيفة للمجتهد هي محاولة استكشاف المناطات التي تدور حولها الأحكام.

وبهذا الترتيب سنشرع في بحث مسألتنا: الفنّ، وستكون لأنواعه المعروفة في زمننا هذا أبواب، لكلّ باب بحث خاصّ على النحو الآتي:

أولاً: الغناء واللهو.

ثانياً: الموسيقى.

ثالثاً: الرسم والنحت والتصوير.

رابعاً: الرقص والتمثيل، سواء كان في المسرح أو السينما.

خامساً: الشعر والقصّة والأدب.

علي بن الحسين1988 ، عليه السلام، ج17، ص262 .

ثالثاً: مسائل للبحث الفقهي

أولاً: الغناء واللهو

ونقسم البحث فيه إلى ثلاثة أقسام:

أ- رأي الشيخ الأنصاري.

ب- رأي بعض فقهاء المسلمين.

ج - رأي خاصّ.

رأي الشيخ الأنصاري:

يظهر من كلام الشيخ أنّ الخلاف في حرمة الغناء هو في الشبهة المفهوميّة لا في الشبهة الحكميّة، بمعنى أنه لا خلاف في حرمته بعنوانه، إذ لو كان محرّماً بعناوين خارجية مقتضاه حلّيته بعنوانه والحرمة إنما هي لهذه العناوين الخارجيّة.

وقد استدلّ على الحرمة بثلاثة أوجه:

1 - **الإجماع:** وقد عبّر عنه بقوله: «لا خلاف في حرمته في الجملة»[1]، ولا يبعد أن يكون إجماعاً مدركيّاً نظراً للروايات التي سترد، وقوله: «في الجملة» إشارة إلى خلاف البعض أمثال الكاشاني والسبزواري واستثناء الغناء في الأعراس وحداء الإبل والمراثي وقراءة القرآن.

2 - **الآيات المفسَّرة بالغناء في الروايات:** في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ**﴾[2]، فقد ورد مستفيضاً تفسير قول الزور بالغناء، في صحيحة الشحّام ومرسلة ابن أبي عمير وموثقة أبي بصير المرويّات عن الكافي ورواية عبد الأعلى المحكية عن معاني الأخبار وحسنة هشام المحكية عن تفسير القمّي في تفسير لهو الحديث في قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ**

---

(1) الأنصاري، مرتضى، المكاسب المحرّمة، ط1، قم - إيران، مطبعة باقري، المؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لميلاد الشيخ الأنصاري، جمادى الأول 1415، ج1، ص36.

(2) سورة الحج، الآية: 30.

مُهِينٌ﴾[1].

فقد ورد مستفيضاً في تفسير ﴿لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ كما في صحيحة ابن مسلم ورواية مهران بن محمدّ ورواية الحسن بن هارون ورواية عبد الأعلى السابقة، وفي تفسير الزور في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾[2]، كما في صحيحة ابن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام تارة بلا واسطة وأخرى بواسطة أبي الصباح الكناني.

في تطبيق اللغو على الغناء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[3].

حدّثنا الحاكم أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي، قال: حدّثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدّثنا عون بن محمد الكندي قال: حدثني أبو الحسين محمد بن أبي عبادة وكان مشتهرا بالسماع وبشرب النبيذ قال: سألت الرضا عليه السلام عن السماع قال: لأهل الحجاز رأي فيه وفي حيز الباطل واللهو، أما سمعت الله تعالى يقول: «وإذا مروا باللغو مروا كراما».

في تطبيق اللهو والباطل على الغناء في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ × لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ × بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[4] وذلك في رواية عبد الأعلى.

ويذهب الشيخ الأنصاري إلى أنّ هذه الروايات لا تدلّ على حرمة الغناء بعنوانه بل من حيث اللهو والباطل واللغو فيقول في المكاسب: «والإنصاف أنّها لا تدلّ على حرمة نفس الكيفيّة إلاّ من حيث إشعار لهو الحديث بكون اللهو عن إطلاقه مبغوضاً لله تعالى وكذا الزور بمعنى الباطل وإن تحقّقا في كيفيّة الكلام لا في نفسه كما إذا تغنّى في كلام حق من قرآن أو دعاء أو مرثيّة»[5].

3 - **الروايات:** وهي كثيرة ومتظافرة وقد ذكر الشيخ رحمه الله بعضها، ومنها:

---

(1) سورة لقمان، الآية: 6.

(2) سورة الفرقان، الآية: 4.

(3) سورة الفرقان، الآية: 72.

(4) سورة الأنبياء، الآية: 18-16.

(5) الأنصاري، مرتضى، المكاسب المحرّمة، ج1، ص36.

رواية يونس قال: سألت الخراساني[1] عن الغناء، وقلت: إنّ العبّاسي زعم أنك ترخّص في الغناء، فقال: كذب الزنديق ما هكذا قلت له وإنما سألني عن الغناء قلت له إن رجلاً أتى أبا جعفر عليه السلام فسأله عن الغناء فقال له: إذا ميزّ الله بين الحق والباطل فأين يكون الغناء فقال: مع الباطل، فقال: قد حكمت»[2].

رواية الأعمش في تعداد الكبائر قوله: «والملاهي التي تصدّ عن ذكر الله كالغناء وضرب الأوتار»[3].

وقوله الإمام الرضا عليه السلام وقد سئل عن الجارية المغنيّة: «قد يكون للرجل الجارية تلهيه وما ثمنها إلاّ كثمن الكلب»[4].

ويذهب الشيخ رحمه الله إلى أنّ هذه الروايات لا تدلّ على الحرمة العنوانيّة للغناء، بل إلى العناوين الخارجية من اللهو والباطل حيث يقول في المكاسب: «وبالجملة فالمحرّم هو ما كان من لحون أهل الفسوق والمعاصي التي ورد النهي عن قراءة القرآن بها، سواءً كان مساوياً للغناء أو أعمّ أو أخصّ»[5].

ولكنّه يبدّل رأيه بعد ذلك مباشرة حيث يرى الحرمة العنوانيّة للغناء، ولكن لا بسبب الأدلة بل بسبب ظهور لفظ الغناء في أنّه هو اللهو فيقول: «مع أنّ الظاهر أن ليس الغناء إلاّ هو - أي اللهو-»[6].

ومع وصول الشيخ إلى هذه النتيجة «أي حرمة الغناء لعنوانه» أصبحت المسألة عنده من باب الشبهة المفهوميّة، ويلزم تنقيح معنى الغناء المراد في الروايات.

---

(1) أي الإمام علي الرضا عليه السلام.

(2) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة، ط2، قم - إيران، مطبعة مهر، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، 1414هـ، ج12، ص227.

(3) المجلسي،محمّد باقر، بحار الأنوار، ط2، لبنان، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة الوفاء، 1983م، ج10، ص229.

(4) الطوسي، محمّد بن الحسن، الاستبصار، طهران - إيران، دار الكتب الإسلامية، ج3، ص61.

(5) الأنصاري، مرتضى، المكاسب المحرّمة، ج1، ص36.

(6) المرجع السابق.

أ- معنى الغناء:

بعد ما سرد الشيخ رحمه الله معاني الغناء لدى الفقهاء أو اللغويين من أنّه الصوت أو مدّ الصوت أو هو مع الترجيع أو هو مع الإطراب إلى غير ذلك، وبعد الإشكال وردّه على ما هو منحاه في بحث أيّة مسألة من الأخذ بجانب والإستدلال له حتّى تظنّ أنه مختاره ثمّ ينقلب ليثبت عكسه حتّى تظّن أنّه رفضه وإذا به يعود ليثبت الأوّل وهكذا يذهب في تحقيق المسألة والتدقيق فيها.

بعد هذا كلّه ذهب الشيخ رحمه الله إلى أنّ اللهو لا ينفكّ عن الغناء مصداقاً من دون مدخليّة له في المفهوم فيقول: «وكيف كان فالمحصّل من الأدلّة المتقدّمة حرمة الصوت المرّجع فيه على سبيل اللهو، فإنّ اللهو كما يكون بآلة من غير صوت كضرب الأوتار ونحوه بالصوت في الآلة كالمزمار والقصب ونحوهما فقد يكون بالصوت المجرّد، فكل صوت يكون لهواً بكيفيّته ومعدوداً من ألحان أهل الفسوق والمعاصي فهو حرام وإن فرض أنّه ليس بغناء، وكل ما لا يعدّ لهواً فليس بحرام وإن فرض صدق الغناء عليه فرضاً غير محقّق لعدم الدليل على حرمة الغناء إلاّ من حيث كونه باطلاً ولهواً وزوراً».

إذن الغناء هو: كيفيّة ولا علاقة له بمادة الصوت، يقول الشيخ رحمه الله: «وظهر مماّ ذكرنا أنّه لا فرق بين استعمال هذه الكيفيّة في كلام حقّ أو باطل، فقراءة القرآن والدعاء والمراثي بصوت يرجع فيه على سبيل اللهو لا اشكال في حرمتها ولا في تضاعف عقابها لكونها معصية في مقام الطاعة».

ب- معنى اللهو:

ولمّا كان مناط الحرمة عند الشيخ رحمه الله هو عنوان اللهو، فلا بد من بيانه فيقول: «ثمّ إنّ المرجع في اللهو إلى العرف والحاكم هو الوجدان، حيث يكون الصوت المذكور مناسباً لبعض آلات اللهو والرقص ولحضور ما يستلذّه القوى الشهوية من كون المغنّي جارية أو أمرد»[1].

(1) المرجع السابق، ص37.

مؤاخذة على الشيخ:

لم يستغرق الشيخ رحمه الله في بيان معنى اللهو ومصاديقه رغم أنّه جعله المناط في الحكم، وكان ينبغي أن يوضّح معناه خصوصاً التفريق بينه وبين الترفيه والتسلية والعبث فإنّ هذه الثلاثة لا شكّ في حليتها، والتفريق بين هذه المفاهيم الثلاثة وبين اللهو في غاية الأهميّة.

على أنّ الشيخ رحمه الله لم يفرّق بين حضور القوى الشهويّة واللهو، والعلاقة بينهما.

نعم، ذكر الشيخ رحمه الله تعريف اللهو والتفريق بينه وبين اللعب واللهو وذلك في بحث حرمة الملاهي حيث يقول: «ولكن الإشكال في معنى اللهو، فإنّه إن أريد به مطلق اللعب كما يظهر من الصحاح والقاموس فالظاهر أنّ القول بحرمته شاذّ مخالف للمشهور والسيرة، فإنّ اللعب هو الحركة لا لفرض عقلائي، ولا خلاف ظاهراً في عدم حرمته على الإطلاق، نعم لو خصّ بما يكون من بطر وفسّر بشدّة الفرح كان الأقوى تحريمه»[1].

مستثنيات الحرمة:

1 - **حداء الإبل**[2]: المشهور إستثناؤه، ولكن الشيخ رحمه الله لم يستثنه عن الحرمة على تقدير كونه لهوياً لعدم تماميّة الدليل على الحلّية بعد انطباق العنوان المحرّم عليه وهو اللهو.

2 - **الغناء في الأعراس**: ولم يصل الشيخ رحمه الله إلى موقف، واختار الإحتياط لعدم تماميّة أدلّة التحليل عنده، فإنّه بعدما خدش بسند الروايات الدالّة على الحلّية وعدم انجبارها بالشهرة، عاد وقال: «إن الإنصاف أنه لا يخلو من وثوق»[3]، ثمّ عاد واختار الإحتياط.

رأي فقهاء المسلمين:

المشهور بين فقهاء الشيعة حرمة الغناء في الجملة لعنوانه.

---

(1) المرجع السابق، ص54.

(2) حداء الإبل يعني سوقها والغناء لها، يقال حدوت الإبل حدواً وحداءاً.

(3) الأنصاري، مرتضى، المكاسب المحرّمة، ج2، ص314.

رأي الإمام الخميني:

يرى الإمام الخميني أن حرمة الغناء لعنوانه، يقول في كتابه (المكاسب المحرّمة): «والإنصاف أن دلالة الطائفتين المتقدمتين - أي ما دلّ على تفسير آية الزور وآية اللهو - على حرمة الغناء بذاته لا تأمّل فيها ... ودلّت على حرمته بذاته أيضاً روايات كثيرة ربمّا يدّعى تواترها»[1].

ويقول في تحرير الوسيلة: «الغناء حرام فعله وسماعه والتكسّب به»[2]، حيث علّق الحرمة بنفس عنوان الغناء.

من هنا كان تعريف الغناء هو المهم لديه: لأن عنوان الغناء هو المحرّم، فيعرّفه: «وليس هو مجرّد تحسين الصوت، بل هو مدّه وترجيعه بكيفية خاصة مطربة تناسب مجالس اللهو ومحافل الطرب وآلات اللهو والملاهي، ولا فرق بين استعماله في كلام حقّ من قراءة القرآن والدعاء والمرثيّة وغيره من شعر أو نثر، بل يتضاعف عقابه لو استعمله فيما يطاع به الله تعالى، نعم قد يستثنى غناء المغنيات في الأعراس، وهو غير بعيد»[3].

رأي الإمام الخوئي:

وكما هو المشهور بين الشيعة، ذهب الإمام الخوئي إلى الحرمة العنوانيّة، يقول في مصباح الفقاهة: «إنّ الظاهر من الروايات المتظافرة بل المتواترة (من حيث المعنى) الناهية عن الغناء وعن جميع ما يتعلق به هو تحريمه بنفسه مع قطع النظر عن اقترانه بسائر العناوين المحرّمة»[4].

ويظهر منه أنّ الغناء قسمان: محرّم، ومحلّل، يقول: «الغناء حرام إذا وقع على وجه اللهو والباطل بمعنى أن تكون الكيفيّة كيفيّة لهوية، والعبرة في ذلك بالصوت العرفي، وكذا استماعه، ولا فرق في حرمته بين وقوعه في قراءة، ودعاء، ورثاء، وغيرها، ويستثنى منه الحداد وغناء النساء في الأعراس إذا لم يضمّ إليه محرّم آخر من الضرب بالطبل، والتكلّم بالباطل، ودخول

---

(1) الخميني، روح الله، المكاسب المحرّمة، ط3، قم - إيران، نشر مؤسسة إسماعيليان، 1410هـ، ج1، ص308.

(2) الخميني، روح الله، تحرير الوسيلة، ط2، النجف الأشرف، مطبعة الآداب، 1390هـ.ش، ج1، ص497.

(3) المرجع السابق.

(4) الخوئي، أبو القاسم، مصباح الفقاهة، ط1 المحققة، قم - إيران، المطبعة العلميّة، ج1، ص482.

الرجال على النساء وسماع أصواتهنّ على نحو يوجب تهييج الشهوة وإلاّ حرم ذلك»[1].

رأي المذاهب الأربعة:

يظهر من معظمهم عدم حرمة الغناء لذاته بل للعناوين الخارجيّة.

فقد نقل الغزالي في الإحياء عن الشافعي: «لا أعلم أحداً من علماء الحجاز كره السماع»، وقد استدلّ الغزالي على الجواز برقص الحبشة والزنوج في المسجد النبوي يوم عيد وأقرّهم الرسول ﷺ، ثمّ ذكر أنّ حرمة الغناء من جهة المحرمات الخارجية.

وفي فقه المذاهب: «التغنّي من حيث كونه ترديد الصوت بالألحان مباح لا شيء فيه، ولكن قد يعرض له ما يجعله حراماً أو مكروهاً، وعلى هذا منهج تفصيل المذاهب الأربعة»، ثمّ قال: «فما عن أبي حنيفة من أنه يكره الغناء ويجعل سماعه من الذنوب فهو محمول على النوع المحرّم منه»[2].

رأي خاصّ:

والذي أستظهره من مجموع الروايات، وشتات الكلمات أن المحرّم من الغناء: هو خصوص ما أدّى إلى إفساد القلب، والروح، ونبات حبّ الدنيا والشهوات والضلالة عن سبيل الله.

ويدل على ذلك أمور:

1 - **أنّ المنصرف من الغناء:** هو خصوص ما كان شائعاً، وما هو شائع في أيامنا من الغناء المفسد للقلب وللروح ولو من دون طرب، لأن الطرب غاية لهذا النوع من الغناء لا مقوّم له، وقد كثر هذا النوع من الغناء المحرّم (أي ما كان جوّه جوّ فساد) لدرجة أنه لكثرة الأفراد الخارجيّة منه أصبح هو المنصرف إليه والمراد في الكلام.

فإنّ الغناء - وإن لم يؤدِّ إلى خفّة وطيش وفعل ما لا يفعله الحكيم - لكنّه ينبت النفاق شيئاً فشيئاً، ألا ترى من يحضر مجالس اللهو لا يزني من المرّة الأولى ولكنه مع تكرار المجالس قد

---

(1) الخوئي، أبو القاسم، منهاج الصالحين، ط28، قم - إيران، مطبعة مهر، ذي الحجّة 1410هـ، ج2،ص7.

(2) الخوئي، أبو القاسم، مصباح الفقاهة، ج1، ص389.

يزني، ولذا ورد أن الغناء رقية الزنا[1]، وكلمة «رقية» تفيد ما ذكرنا. وكذا فإنّه لا يصبح منافقاً من المجلس الأول، بل مع تكرار المجالس يصبح منافقاً، وأنانياً، وينمو لديه حبّ الشهوات ويضلّ عن سبيل الله ويقترب من المعاصي، ويشير إلى ذلك تعبير الإمام عليه السلام: «ينبت النفاق في القلب»[2] فإن كلمة ينبت تشير إلى ما ذكرنا. وبهذا يردّ إشكال أن معظم الغناء لا يطرب ولا يؤدي إلى خفّة وطيش، وهذا الإشكال هو الذي حدى ببعض فقهائنا إلى أن الغناء من شأنه أو أن الغالب فيه أن يطرب.

ويؤيد ما ذكرنا من أن المراد من المطلقات الغناء العرفي الشائع في زماننا وزمانهم ما ورد في رواية محمد بن أبي عباد «وكان مستهتراً بالسماع» حيث إنّ هذا النوع من الغناء في عرفهم كان يسمّى بالسماع وأطلق عليه السماع رغم أنّ السماع أعمّ لغةً، ألا ترى أننا نقول: فلان يشرب ونقصد خصوص شرب الخمور مع أن الشرب أعمّ فإطلاق كلمة «شرب» عندما نقول فلان يشرب تنصرف إلى خصوص شرب الخمر.

2 - **كثرة العناوين المنطبقة على الغناء في الروايات**، الزور، اللهو، الباطل، اللغو، مما يستظهر منه عدم حرمة الغناء لذاته بل لهذه العناوين، وإلاّ فلماذا يتبع الإمام - عند السؤال عن الغناء - التحريم بذكر آية اللهو وغيرها، وكان يتمكّن من ذكر الحكم فقط لو كان الغناء محرّماً لذاته، وكان الإمام عليه السلام يعلمنا استكشاف هذه المناطات.

3 - **ما ورد من الروايات الدالة على الحلّية في الأعراس**، أو في الفطر والأضحى والفرح، حيث يقول الإمام عليه السلام في الرواية: «**لا بأس ما لم يعص به**»[3] وما ورد من قراءة القرآن بألحان العرب «**وإيّاكم وألحان أهل الفسوق**»[4] والذي نفهمه من ألحان أهل الفسوق هو هذا الجو الفاسد الذي يؤدي إلى مرض القلب والبعد عن حبّ الله والتعلّق بالملذّات الدنيويّة، وكان الإمام يشير إلى أنّ هذا الجوّ سبب تحريم الغناء، ومن هنا تعددت عبارات الفقهاء فقالوا:

---

(1) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ط1، دار الحديث، 1416هـ، ج 3، ص2313.

(2) المرجع السابق.

(3) النراقي، أحمد، مستند الشيعة في أحكام الشريعة، ط1، قم - إيران، مطبعة ستارة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ربيع الأول 1418هـ، ج14، ص139.

(4) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة، ج4، ص858.

الغناء – على نحو ما تعارف عند أهل الفسوق – أو مجالس اللهو والباطل، ثمّ يجعلون تعيين اللهو على عاتق العرف والوجدان، حتى جعلوا هذه الحيثيّة تقييديّة لا تعليليّة، وهو خلاف الظاهر.

4 – **من هنا يرد الإشكال الذي ذكره الإمام الخوئي قدّس سرّه** كما في مصباح الفقاهة أنّه لو كان تحريم الغناء إنّما هو العوارض المحرّمة كان الإهتمام بالمنع عنه في هذه الروايات لغواً محضاً، لورود النهي عن سائر المحرّمات بأنفسها[1].

والجواب: أنّ الإمام يركزّ على الغناء من حيث إنّه يؤتى به بكيفيّة هي من أكثر الملاهي المحرّمة تأثيراً وانتشاراً.

ثانياً: الموسيقى

لم أجد لفظة «الموسيقى» في النصوص وعند الفقهاء الأقدمين ولعلها معرّبة من لفظة أجنبية يونانيّة كما ذكر في المنجد.

نعم وردت لفظة «المعازف»، ولذا فالموسيقى علم لم يرد في النصوص، فيندرج تحت: «**كل شيء لك حلال حتّى تعلم أنه حرام**»[2] نعم وردت الآلات الموسيقيّة في نصوص كثيرة كالبربط[3]، والمزمار، والأوتار، والطنبور، والدف، فلنجعل البحث في نفس الآلات.

ونبحث فيه:

1 – رأي الشيخ الأنصاري.

2 – رأي المشهور.

رأي الشيخ الأنصاري:

ويظهر منه عدم حرمة الآلات الموسيقيّة بعنوانها أي أنّ الآلات بحدّ ذاتها محللة، نعم تحرم بعناوين تنطبق عليها أو تلازمها.

---

(1) أنظر: الخوئي، أبو القاسم، مصباح الفقاهة، ج1، ص394.

(2) الكليني، محمد بن يعقوب، الأصول من الكافي، ط3، طهران – إيران، دار الكتب الإسلامية، 1367 هـ. ش، ج5، ص313.

(3) بربط: هو العود من آلات الملاهي.

يقول في كتابه المكاسب: «ويؤيّده أنّ حرمة اللعب بآلات اللهو الظاهر أنّه من حيث اللهو لا من حيث خصوص الآلة، ففي رواية سماعة «**قال أبو عبد الله عليه السلام: لما مات آدم شمت به إبليس وقابيل فاجتمعا في الأرض، فجعل إبليس وقابيل المعازف والملاهي شماتة بآدم عليه السلام، فكلما كان في الأرض من هذا الضرب يتلذّذ به الناس فإنما هو من ذلك**»، فإنّ فيه إشارة إلى أنّ المناط هو مطلق التلهّي والتلذذ»[1].

ولعلّه لهذا السبب لم يجعل الشيخ رحمه الله الآلات الموسيقيّة باباً خاصّاً.

رأي المشهور:

لم تفرد الكتب الفقهيّة، بل وحتّى كتب الحديث للآلات الموسيقيّة مبحثاً خاصاً فيها،وغالباً ما أدرجت مع الغناء، أو مع الملاهي، والظاهر عندهم حرمة الآلات الموسيقيّة لا لعنوانها وإن وردت في كثير من النصوص كرواية تحف العقول وغيرها، بل من حيث العناوين الخارجيّة الطارئة عليها كاللهو، وإلاّ فهي بحدّ ذاتها محلّلة، وقد ذكرها الفقهاء في باب ما حرّم لتحريم ما يراد منه.

ثالثاً: الرسم والنحت والتصوير

لا شكّ في أنّ البحث في حرمتها هو في الحرمة العنوانيّة، أي أنّها محرمة لذاتها لا لعناوين خارجيّة، أمّا التصوير الفوتوغرافي فهو أمر متأخّر، والمشهور بين المتأخرين جوازه، بل يكادّ يكون محل اتفاق لولا ما نقل عن بعض الفقهاء.

فلننقل الكلام إلى الرسم، وهو التمثيل غير المجسّم، والنحت وهو المجسّم.

ونبحث في:

1 - رأي الشيخ الأنصاري.

2 - رأي بعض فقهاء المسلمين.

---

(1) الأنصاري، مرتضى، المكاسب المحرّمة، ج2، ص54.

رأي الشيخ الأنصاري:

نقل الشيخ إجماعاً على حرمة تصوير المجسّم من ذوات الأرواح بقوله: «تصوير صور ذوات الأرواح حرام إذا كانت الصورة مجسّمة بلا خلاف فتوىً ونصّاً»[1]، وهو إجماع مدركي للروايات الكثيرة الواردة، وذهب الشيخ رحمه الله إلى حرمة الرسم والنحت لخصوص ذوات الأرواح، يقول في المكاسب: «المسألة الرابعة: تصوير صور ذوات الأرواح حرام إذا كانت الصورة مجسّمة بلا خلاف فتوىً ونصّاً، وكذا مع عدم التجسيم وفاقاً لظاهر النهاية وصريح السرائر والمحكي عن حواشي الشهيد والميسية والمسالك وإيضاح النافع والكفاية ومجمع البرهان وغيرهم، للروايات المستفيضة مثل قوله عليه السلام: نهي أن ينقش شيء من الحيوان على الخاتم، وقوله عليه السلام: نهي عن تزويق البيوت، قلت: وما تزويق البيوت؟ قال: تصاوير التماثيل، والمتقدّم عن تحف العقول، وصنعة صنوف التصاوير ما لم يكن مثال الروحاني، وقوله عليه السلام في عدّة أخبار «مَن صوّر صورة كلّفه الله يوم القيامة أن ينفخ فيها وليس بنافخ»[2].

ويعتبر الشيخ رحمه الله قصد الحكاية والتمثيل، فلو دعت الحاجة إلى عمل شيء يكون شبيهاً بشيء من خلق الله ولو كان حيواناً من غير قصد الحكاية فلا بأس قطعاً.

ويردّ الشيخ على من خصّص الحرمة بخصوص المجسّم من ذوات الأرواح - والقدر المتيقّن المجمع عليه هو حرمة المجسّم من ذوات الأرواح - ويفنّد أدلّتهم، ثمّ يتعرّض لفروع وهي: التصوير الناقص، وجواز تصوير الجنّ والمَلَك، وجواز الإقتناء والبيع والنظر.

وينقل الشيخ قولين آخرين في المسألة:

1 - حرمة مطلق الرسم والنحت حتى لغير ذي الروح.

2 - حرمة مطلق النحت - أي المجسّم - لذي الروح وغيره.

يقول: «خلافاً لظاهر جماعة حيث إنّهم بين من يُحكى عنه تعميمه الحكم لغير ذي الروح ولو لم يكن مجسّماً لبعض الإطلاقات اللازم تقييدها بما تقدّم مثل قوله عليه السلام: نهي عن

---

(1) المرجع السابق، ج2، ص23.

(2) المرجع السابق، ج2، ص23.

تزويق البيوت. وقوله عليه السلام: «من مثّل مثالاً...»[1]، وبين من عبّر بالتماثيل المجسّمة بناءً على شمول التمثال لغير الحيوان كما هو كذلك، نخصّ الحكم بالمجسّم لأن المتيقن من المقيّدات للإطلاقات والظاهر منها بحكم غلبة الإستعمال والوجود النقوش لا غير»[2].

رأي فقهاء المسلمين:

رأي المشهور:

ذهب أكثر الفقهاء إلى الحرمة العنوانيّة للرسم والتجسيم لذوات الأرواح.

رأي الإمام الخميني:

يذهب إلى حرمة خصوص النحت لذوات الأرواح، يقول: «مسألة 12: يحرم تصوير ذوات الأرواح من الإنسان والحيوان إذا كانت الصورة مجسّمة كالمعمولة من الأحجار والفلزّات والأخشاب ونحوها والأقوى جوازه مع عدم التجسيم وإن كان الأحوط تركه، ويجوز تصوير غير ذوات الأرواح كالأشجار والأوراد ونحوها ولو مع التجسيم، ولا فرق بين أنحاء التصوير من النقش والتخطيط والتطريز والحك وغير ذلك، ويجوز التصوير المتداول في زماننا بالآلات المتداولة، بل الظاهر أنّه ليس من التصوير، وكما يحرم عمل التصوير من ذوات الأرواح مجسّمة يحرم التكسب به وأخذ الأجرة عليه، هذا كلّه في عمل الصور، وأما بيعها واقتناؤها واستعمالها والنظر إليها فالأقوى جواز ذلك كلّه حتى المجسّمات، نعم يكره اقتناؤها وإمساكها في البيت»[3].

وللإمام الخميني قدّس سرّه بحث لطيف جداً والتفاتات لطيفة في هذه المسألة ذكرها في كتابه المكاسب المحرّمة[4] تنفع جداً في استنباط الحكم.

رأي الإمام الخوئي قدّس سرّه:

يذهب إلى حرمة الرسم والنحت لذوات الأرواح فيوافق الشيخ الأنصاري رحمه الله في

---

(1) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، ط2، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، 1404، ج1، ص191.

(2) المرجع السابق، ج2، ص23.

(3) الخميني، روح الله، تحرير الوسيلة، ج1، ص428.

(4) الخميني، روح الله، المكاسب المحرّمة، ج1، ص172-169.

ذلك فيقول: «يحرم تصوير ذوات الأرواح من الإنسان والحيوان سواءً كانت مجسّمة أم لم تكن ويحرم أخذ الأُجرة عليه، أمّا تصوير غير ذوات الأرواح كالشجر وغيره فلا بأس به، ويجوز أخذ الأُجرة عليه، كما لا بأس بالتصوير الفوتوغرافي المتعارف في عصرنا، ومثله تصوير بعض البدن كالرأس والرجل ونحوهما ممّا لا يعدّ تصويراً ناقصاً، أمّا لو كان كذلك، مثل تصوير شخص مقطوع الرأس ففيه إشكال، أمّا لو كان تصويراً له على هيئة خاصّة: مثل تصويره جالساً أو واضعاً يديه خلفه أو نحو ذلك ممّا يعّد تصويراً تامّاً فالظاهر هو الحرمة، بل الأمر كذلك فيما إذا كانت الصورة ناقصة ولكنّ النقص لا يكون دخيلاً في الحياة كتصوير إنسان مقطوع اليد أو الرجل ويجوز على كراهة اقتناء الصور وبيعها وإن كانت مجسّمة وذوات أرواح[1].

رأي المذاهب الأربعة:

في فقه المذاهب[2] عن المالكية: إنمّا يحرم التصوير بشروط أربعة:

أحدها: أن تكون الصورة لحيوان.

ثانيها: أن تكون مجسّمة وقيّدها بعضهم بكونها من مادّة تبقى وإلّا فلا تحرم، وفي غير المجسّدة خلاف، فذهب بعضهم إلى الإباحة مطلقاً، وبعضهم يرى إباحتها إذا كانت على الثياب والبسط.

ثالثها: أن تكون كاملة الأعضاء.

رابعها: أن يكون لها ظلّ.

وعن الشافعيّة: يجوز تصوير غير الحيوان، وأمّا الحيوان فإنّه لا يحلّ تصويره. وبعد التصوير إن كانت الصورة مجسّدة فلا يحلّ التفرّج عليها إلاّ إذا كانت ناقصة، وغير المجسّدة لا يحلّ التفرّج عليها وإذا كانت مرفوعة على الجدار، ويجوز التفرّج على خيال الظّل ويستثنى من المذكورات لعب البنات.

وعن الحنابلة: يجوز تصوير غير الحيوان، وأمّا تصوير الحيوان فإنّه لا يحلّ إلّا إذا كان موضوعاً على ثوب يُفرش.

---

(1) الخوئي، أبو القاسم، منهاج الصالحين، ج2، ص70.

(2) المرجع السابق، ص40.

وعن الحنفيّة: تصوير غير الحيوان جائز، أمّا تصوير الحيوان فإنّه لا يحّل إلّا إذا كان على بساط مفروش أو كانت الصورة ناقصة.

رابعاً: الرقص والتمثيل

لا أحد يقول بحرمتها لعنوانهما وخصوصاً التمثيل الذي لم يكن معروفاً في زمن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام.

ولعلّه لهذا السبب لم يتعرّض لهما الشيخ الأعظم رحمه الله في المكاسب وكذا غيره.

نعم ذكر الشيخ الأنصاري رحمه الله حرمة الرقص وأنّها بعنوان اللهو في معرض كلامه عن اللهو حيث يقول: «نعم لو خصّ اللهو بما يكون من بطر، وفسّر بشّدة الفرح كان الأقوى تحريمه، ويدخل في ذلك الرقص والتصفيق والضرب على الطشت بدل الدفّ، وكلما يفيد فائدة اللّهو».

ولعدم وجود حكم خاصّ بالعنوان فلا معنى لبحث الرقص أو التمثيل.

نعم قد يطرأ عليهما أحد الأحكام التكليفية الخمسة: «الوجوب والحرمة والاستحباب والكراهة والإباحة» بسبب اقترانهما بعنوان خارجي، أو ملازمتهما لعنوان خارجي قد ثبت له أحد هذه الأحكام.

فقد تطرأ عليهما الحرمة لعنوان خارجي محرّم كاللهو والفساد والإضلال عن سبيل الله والإثارة وغير ذلك.

بل قد يطرأ عنوان مستحب أو واجب كنشر الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما نجد في أيامنا هذه حيث للمسرح أو للأفلام - سواء كانت في السينما أو التلفزيون - أثر كبير في توجيه الناس عقائدياً وخُلقيّاً ومسلكيّاً.

خامساً: الشعر والقصّة والأدب

لم يحرّم الإسلام شيئاً منها بل شجّعها، فهي من وسائل البيان والإعلام، كيف وقد جاء القرآن قمّة في بلاغته وفصاحته وتحدّى بذلك، وقد روي عن النبي ﷺ: «إن من الشعر لحكمة

ومن البيان لسحراً»[1]، وقد اتّخذ النبيﷺ حسّان بن ثابت شاعراً وطلب منه أن يقول شعراً في يوم الغدير، وقد أنشد الكميت بن زياد ودعبل الخزاعي وغيرهم للأئمة عليهم السلام، وهذا ديدن الفقهاء والمتشرّعة إلى يومنا هذا.

نعم، ورد في القرآن ذمّ الشعراء: ﴿**وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ × أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ × وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ × إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**﴾[2].

ولذا لا يحرّم الشعر ولا القصّة بعنوانه بل هو مباح، بل يطرأ عليه أحكام بحسب العنوان الخارجي المنطبق عليه.

والجواب:

أنّه ذمّ الشعراء بحسب الجو الشعري الفاسد من كذب، وغلو في مدحٍ أو ذمّ، وعدم مبالاتهم بما يقولون إلى غير ذلك، ولهذا استثنى الذين آمنوا منهم حيث لا يكون في شعرهم شيء من الباطل.

وأمّا فيما ورد في سبب نزول آية اللهو: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[3] أن النضر بن حرث كان يخرج إلى فارس فيشتري أخبار الأعاجم ويحدّث قريش ويصرفهم عن استماع القرآن.

وكأنّ هذه الرواية تفيد عن القصّة وسردها.

فالجواب:

إنّ المحرّم هو خصوص ما قصد الضلالة عن سبيل الله إذا كانت اللام للتعليل في ﴿**لِيُضِلَّ**﴾ أو ما أدّى إلى ذلك إذا كانت اللام للعاقبة لقوله تعالى: ﴿**فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا**﴾[4] وهذا عنوان خارجي، حيث تكون القصّة سبباً للقرب من الكفر أو القرب من المعاصي.

---

(1) الهندي، كنز العمال، لبنان، مؤسسة الرسالة، 1989م، ج3، ص865.

(2) سورة الشعراء، الآية: 224-227.

(3) سورة لقمان، الآية: 6.

(4) سورة القصص، الآية: 8.

الباب الثاني

الجمال قراءة علميّة وإسلاميّة

الفصل الأول:

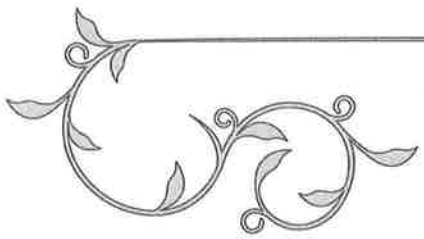

علم الجمال والدراسات الجماليَّة

أولاً: لو كان العالَم بلا جمال!!

ثانياً: لفظة الجمال

ثالثاً: ما هو علم الجمال؟

رابعاً: دراسة علمي الجمال والفنّ والصلة بينهما

خامساً: فروع جديدة في الدراسات الجماليّة

سادساً: جماليّة الكلمة

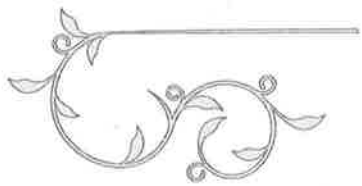

علم الجمال والدراسات الجماليَّة

أولاً: لو كان العالَم بلا جمال!!

لا يروي عطش الإنسان إلاّ الجمال، جمال الطبيعة، وجمال الفنّ الذي يجده في الموسيقى ليهدِّئ روعه ولتسمو نفسه، والمسرح الذي يدافع فيه عن حريِّته، والشعر الذي يلهب عواطفه فيحترق بلهيبها حتّى يطهِّر روحه، والمروج الساحرة التي تملأ عينيه بالفرح والسرور... من هنا فلنتصوَّر عالماً بلا جمال، حتماً إنّه عالم من الضجر والصخر، إنَّه عالم الجفاف.

إنَّ الجمال يذكِّر بالأبديَّة وبالخلود، إنَّه انتصار على الزمن الزائل المحدود، إنَّه رحمة إلهيَّة في لحظات فانية، إنّ الجمال إقتلاع للإنسان من حياته اليوميّة المبتذلة، إنّه لحظات داخليّة مليئة بالحياة.

عندما نتأمَّل الطبيعة.. وعندما نرى اللوحات أو التماثيل في المتاحف والمعارض، وخطوط الآيات القرآنيّة في المساجد... فمعنى ذلك أنّ هذه الأعمال الفنيَّة التي نعجب بجمالها تتجاوز المرحلة التي ولدت فيها، وتصبح معاصرة دائماً

إنّ الفنّ إنسانيّ في الحقيقة، يطهِّر الإنسانيَّة من الألم، إنَّه يكشف الإستغلال ويحذِّر الناس من عناصر الشرّ، إنّه يغذِّي الشعوب المستضعفة بروح الرفض والثورة ضد الظلم والقسوة والدكتاتوريَّة.

من هنا فإنّ «الجمال نوع من العبقريّة، بل هو حقّاً أرقى من العبقريّة، إنّه لا يحتاج إلى تفسير، فهو من بين الحقائق العظيمة في العالم، إنّه مثل شروق الشمس، أو إنعكاس صدفة فضيّة نسمّيها القمر على صفحة المياه المظلمة»[1].

---

(1) أوسكار وايلد، رواية: صورة دوريان جراي.

ثانياً: لفظة الجمال

جاءت لفظة علم الجمال من الكلمة اليونانية aistheticos «أستطيقا» ومعناها إدراك حسّي، وأطلقت على الإحساس أو الشعور بالجمال. وبقيت الكلمة aestheties تعني «عالم الجمال» مع أنّه أصبح لها معنى أوسع ما يدلّ عليه اشتقاقها، فالشعور بالجمال يتضمّن الحواس، والعقل أيضاً، وإنَّ أوّل من استخدم هذا اللفظ هو «بومغارتن»[1] وهو أوّل من جعل هذا العلم فرعاً من الفلسفة بصورة مستقلّة.

ثالثاً: ما هو علم الجمال؟

يعدُّ علم الجمال قسماً من أقسام الفلسفة، وهو علم يدرس الجمال ومقاييسه ونظريّاته، ويبحث في الأحاسيس والمشاعر التي تنبعث في نفوسنا بتأثير الأشياء الجميلة سواء أكان وجه إمرأة متناسق أو وجه طفل صبوح، وكلّ الأحاسيس والمشاعر النابعة من تأثير الفنون الجميلة والفنون النافعة «التطبيقيّة» التي تثير فينا النشوة والفرح، وكل ما تميل إليه النفس.

وعليه فإنَّ علم الجمال:

علم وصفيّ، يدرس «العمل الفنّي» باعتباره ظاهرة بشريّة تدخل في صميم النشاط الروحي للموجود البشري»[2].

رابعاً: دراسة علمي الجمال والفنّ والصلة بينهما

إنَّ دراسة علم الجمال وتدريسها مسألة تتطلّب الجهد والمتابعة ومعرفة شتّى النظريّات الفنيّة والمذاهب المعاصرة، والحقّ فكلّما ازداد الإنسان في الإطّلاع والبحث في طبيعة الفنون وعلم الجمال نمت حاسته الفنيّة وأصبحت أكثر قدرة على تذوّق الفنون كالموسيقى والشعر والتمثيل، إلى غير ذلك، وتنشأ لديه حاسة نقديّة تمكّنه من التمييز بين الأعمال الفنيّة الجادّة والأعمال الساذجة أو التجاريّة.

---

(1) بومغارتن، ألكسندر مفكّر ألماني (1714-1762م).

(2) إبراهيم، زكريا، فلسفة الفنّ في الفكر المعاصر «دراسات جماليّة»، القاهرة، مكتبة مصر، ص7-8.

ويمكن تلخيص العلاقة الوثيقة بين الجمال والفنّ في النقطتين التاليتين:

أولاً: أنَّ البحث عن الجمال يستدعي الرجوع إلى الأعمال الفنيَّة.

ثانياً: إنَّ تاريخ الفنّ هو تاريخ الوعي الجمالي، بل هو توليد للجمال.

خامساً: فروع جديدة في الدراسات الجماليّة

قالوا أننا في عصر يحرّكه الجمال، ونحياه حياة تتحرّك مدفوعة دوماً نحو الجمال، وقد تجلّى هذا السعي وراء الجمال في ظهور فروع جديدة من علوم الجمال خاصّة خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين، ونعرض[1] فيما يلي بعضاً من هذه الفروع مع التعريف بها بشكل موجز:

أ- الجماليّات البيئيّة: Environmental Esthetics

وهو فرع جديد من الجماليّات يهتمّ بمحاولة فهم التأثير الخاص للبيئة في التفكير والإنفعال والسلوك، ثم محاولة فهم هذا التأثير من خلال معرفة تفضيلات الأفراد للبيئات المختلفة.

ب- جماليّات التلفزيون: Television Esthetics

ويسمّى أيضاً «جماليّات الميديا التطبيقيّة» وهو فرع جديد كذلك من فروع الجماليّات أو علوم الجمال، وهذا الفرع يدرس عمليّات التشكيل للأفكار والتجسيد لها والتعبير عنها من خلال العناصر الأساسيّة للصورة التلفزيونيّة وهي: الضوء واللون والزمن والحركة والعمق، وهو يدرس كل هذه العناصر في أثناء عمليّة الإنتاج أو الإبداع لها، ويدرسها أيضاً من حيث تأثيراتها المباشرة أو غير المباشرة في المشاهدين.

ج- جماليّات التسويق: Marketing Esthetics

وهو فرع يساهم فيه على نحو نشط علماء التسويق والإدارة وغيرهما من العلوم المرتبطة بعالم المال والأعمال، ويقوم هذا الفرع الجديد من الجماليّات على شعار «انظر واشعر»، لكن

---

(1) عبد الحميد، د. شاكر، التفضيل الجماليّ دراسة في سيكولوجيّة التذوّق الفنّي، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافيّة شهريّة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، مارس 2011، ذو الحجة 1421، العدد 267، ص59.

الهدف الأساسي من وراء هذا الشعار ليس فقط المتعة الجماليّة المرتبطة بالنظر والشعور، بل استثارة رغبة الشراء والإستهلاك لدى الناس.

سادساً: جماليّة الكلمة

إنّ دراسة «جماليّة الكلمة» بهدف الوصول إلى حقيقتها ومعرفة أطوارها الجماليّة والدلاليّة على مرّ العصور، إنّما يعني أن ندرس نشأة الإنسان ذاته، فهو كلمة الله الكبرى في الأرض، وهو صورتها الفكريّة والبلاغيّة.

وهذا يعني أيضاً أنّ الكلمة مرتبطة بالإنسان والكون والفكر والفن، لتدلّ على أنسنة الإنسان وتجلّي الروح الخالدة في الكون، وتحققّ الوجود الحيّ بالفعل الروحيّ والثقافيّ والجماليّ، فالكلمة صورة العالم الأكبر، وإن عبّرت عن ذات الإنسان في مشاعره وأفكاره وما يجري حوله، وما يتلقّى من معارف وآراء، ويصبح للكلمة وظيفة هامة في كل زاوية من زوايا الذات والوجود، **﴿ويغدو لها مغزى خاص في الفنّ يرتبط بالإمتاع والفائدة﴾**[1]، نقتصر على الإشارة لقوله تعالى: **﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾**[2].

حيث أننا نجد التعبير البلاغيّ في قوله: **﴿مِن شَجَرَةٍ﴾** دون اسم الجنس الذي هو شجر، أُريد به تفصيل الشجر - بمعنى تقصّيها شجرة شجرة - حتّى لا تبقى من جنس الشجر ولا واحدة إلاّ قد بُريت **﴿أَقْلَامٌ﴾**.

---

(1) جمعة، د. حسين، في جمالية الكلمة، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2002م، ص7.

(2) سورة لقمان، الآية: 27.

الفصل الثاني:

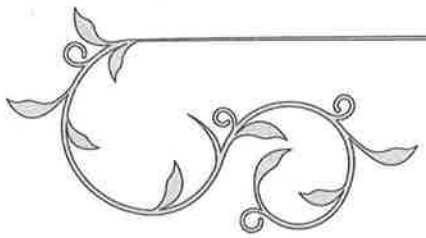

اصطلاحات فنيَّة وجماليَّة

أولاً: التجربة الجماليّة

ثانياً: الإلفة

ثالثاً: الإيقاع الجمالي

رابعاً: القصف الذهني

خامساً: العقل الفنّي

سادساً: العقل الجمالي

سابعاً: استنتاج في القيم والضرورة والتجربة الجماليّة

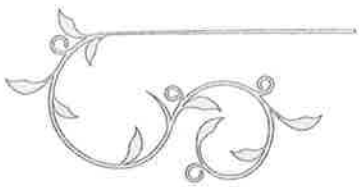

اصطلاحات فنيَّة وجماليَّة

عند دراستك لمسألتي الفنّ والجمال تواجهك مجموعة من الإصطلاحات الخاصّة بهذين الموضوعين، وبغرض البيان الأكمل للموضوعين نورد بعضاً من أهمّ تلك المصطلحات للإضاءة على معانيها، ولاستعمالها في هذا الكتاب.

أولاً: التجربة الجماليّة

تعتبر التجربة الجماليّة جزءً أصيلاً له أهميّة في العمليّة الإبداعيّة من خلال الموقف الجمالي وموقف الفنّان والمتلقّي، وللتجربة الجماليّة حركتان، وهما:

الأولى: تشكّل الحركة الداخلية الصادرة من العمل الفنّي.

الثانية: هي الحركة التذوقيَّة التي يعيشها الفنّان والمتلقّي أثناء تذوّقه للعمل الفنّي.

وما بين الحركتين تتشّكل التجربة الجماليّة بين حركتي الانتباه والدهشة للفنّان والإنجذاب والمتعة للمتلقّي.

ثانياً: الإلفة

حيث تعتبر الإلفة بالتنظيم الشكلي ضرورة لا غنى عنها من أجل كشف قيم مِن أهم قيم التجربة الجماليّة وهي وحدة هذه التجربة، وهذا التآلف هام بل ضروريّ للتجربة تلك، وبإنعدام هذا التآلف تنقطع الصلة بين الفنّان والمتلقّي.

ولذلك نرى أنفسنا حينما نلتقي مع العمل الفنّي فإننا وفي كل مرّة نرى شيئاً جديداً فيه، نكون بذلك بحالة تفاعل مع الإلفة والتفاهم مع ما كان يريد أن يقوله الفنّان.

وهذا ما يمثّل محاولة متكررة لفهم الفنون الزمانيّة والمكانيّة[1].

---

(1) قسّموا الفنون إلى قسمين: الأول: الفنون الزمانيّة، يكون فيها أداء الفنّان وإدراك المتلقّي خلال فترة من الزمن كالموسيقى والدراما والشعر والرقص، والثاني: الفنون المكانيّة، وهي التي تأخذ حيّزاً في المكان بحكم مواردها الجامدة فيه كالعمارة والنحت والتصوير.

ثالثاً: الإيقاع الجمالي

ذكروا أن منشأ التجربة الجماليّة هو الإيقاع الجمالي حيث يلتقي الإيقاع الذي يحسّ به المبدع والمتلقي، وذلك الإيقاع الموجود داخل النفس البشرية، والكامن في الأشياء والأشكال، والصادر من الكون، وعندما تتوحّد هذه الإيقاعات وتتفاعل مع الإيقاع الجمالي الصادر من العمل الفنّي تحدث التجربة الجماليّة.

رابعاً: القصف الذهني

ومن أهمّ الأسباب المشجّعة على الإبداع الفنّي ما أطلقوا عليه بالقصف الذهني[1]، وذلك بإثارة الفكرة وتنشيط الفكر الإبداعي ودفع القدرة الإبداعيّة للإبداع بوجود محفّزات على التفكير.

ويمكن تنشيط القدرات الإبداعيّة وتدعيمها بالتربية الجماليّة وتنشيط الخيال الإبداعي والقدرات الإبداعيّة في إكتساب القدرة الإبداعيّة للإبداع الفني.

خامساً: العقل الفنّي

قسّم علماء الغرب العقل لثلاثة عقول: عقلاً واعياً، وعقلاً لا واعياً، وعقلاً ثالثاً يربط بينهما، وقالوا: إنّه وبالعقل الأخير - الرابط بين العقل الواعي واللاوعي - يمكن لنا ندرك الجميل الذي به نستوحي ومنه ندرك صورة أعلى للجمال.

ومن جهة أخرى تحدّث أرسطو عن عقل نظري وعقل عملي، وتحدّث كانط أيضاً عن عقل نظري «نقد العقل النظري الخالص»، وآخر عملي «نقد العقل العملي الخالص».

وطرحوا مجموعة من التساؤلات، كان أبرزها:

أي العقلين يمكن أن ننسب إليه الإبداع الفنّي؟

وهل الإبداع الفنّي يعود إلى فكر نظري أم فكر عملي؟

---

(1) القصف الذهني: هو تعريف لعلماء النفس، وهو ما يمكن أن نطلق عليه فلسفياً بالتولّد الفكري، وهو في التدريب والتعليم يطلق عليه العصف الذهني.

أم لا بدّ أن نضع إلى جوارهما عقلاً ثالثاً يمكن أن نطلق عليه العقل الفنّي؟

فإذا كان الأمر كذلك فما هي طبيعة هذا العقل الفنّي؟ وما هي اختصاصاته؟

وكيف نميّزه عن العقل العملي والعقل النظري؟

ومن جهة ثالثة تحدّث علماء النفس الحديث عن منطقة جديدة في الإنسان أطلقوا عليها وصف العقل فوق الواقعي، على نقيض العقل الباطني أو غير الواعي، ذلك لأنّ العقل الفوق الواعي - وفق رأيهم - يكشف ضروب السموّ التي يمكن بطبيعتها بلوغها.

وعليه فالعقل الفنّي هو عقل فنّي متطوّر له خاصيّة الإبداع ويحوي الملكات الفنيّة، ويمتلك الأدوات الفنيّة التي من خلاله يظهر إبداعاته التخصصيّة لما فطر عليه من قدرة فنيّة.

سادساً: العقل الجمالي

العقل الجمالي هو عقل ذو رتبة متقدمة ومتطوّرة عن العقل الإبداعي، فإنّه يمتلك إحساسات جماليّة ويكون موجوداً لدى الفنّان المبدع، ويزداد نشاطاً عند الأداء الإبداعي «النظري والعملي» وقد ينشط لدى المتذوّقين أثناء تذوّقهم الجمال الفنّي.

سابعاً: استنتاج في القيم والضرورة والتجربة الجماليّة

استطاع علم الجمال أن يستند إلى القدرة العقليّة، لاحتوائه الخصائص العمليّة والخصائص المعرفيّة والوجدانيّة والإبداعيّة، ولذا فُتح الباب أمام العقل لكي يباشر مهامّه الإبداعيّة ويكون دوره فعّالاً في المجال الإبداعي.

ولهذا يمكن الوصول إلى النتيجة المنطقيّة التالية:

أنّ الفنّ رسالة ووسيلة بشريّة من وسائل الإفصاح عن حالة الوعي الإنساني بتقديم «الحلّ الرائع» يقوم به فنّان امتلك قدرة إبداعيّة ومقدرة إنتاجيّة بأدوات فنيّة استطاع امتلاكها واستخدامها داخل المساحة الإبداعيّة، حتى يتمكّن للمتلقّي من استخراج المعاني الجماليّة من خلال المسافة الفكريّة، وذلك عندما تتحول الخيالات إلى تصوّرات، والتصوّرات إلى إبداعات، عبر تلقّي وتعبير وتذوّق، من خلال عمليّات عقليّة إبداعيّة بتوليد الأفكار وإعادة تشكيل مستمرّة

ومشاهدة متواصلة.

وبهذا يكون اكتساب القيم الجماليّة داخل الأسر الجماليّ حتّى تتمّ السيطرة على التجربة الجماليّة كما تقتضيه الضرورة الجماليّة.

وبناءً عليه، إنّ الضرورة الجماليّة تفرض ضرورة عقليّة لإكتساب تلك القيم الجمالية بالإدراك الحسيّ والحدسي والجماليّ من خلال توظيف القدرة الإدراكيّة، والقدرة التذوقيّة، والقدرة الإبداعيّة، يكون ذلك من خلال عقل ظاهري واعٍ وعقل باطني بارعٍ وعقل إبداعي رائع، مزوّداً بالقدرات العقليّة والملكات الإنسانيّة في الإرادة والذاكرة والإستنتاج واشتماله على نبع الإبداع وعلّته حتّى يتحقّق في أشكال إبداعيّة.

والفنّ الإبداعيّ فعل إنساني، والجمال مصدر إلهي، وبالفنّ يترقّى الإنسان ويسمو حيث يحسّ بالجمال على حسب ترقيه في المراتب الإنسانية ليتلقّف الأنوار الإلهيّة.

فالجمال لذّة روحيّة يتلقّفها القلب والوجدان ومن ثمّ يدركها العقل، ويتحول هذا الجمال المعنوي إلى فعل إنساني من خلال وسائط فنيّة فيحسّ البشر بالجمال من خلال الإبداعات الفنيّة في محاولة لاستشراف الكوامن الروحيّة من الأشياء الماديّة، وبهذا يتحقق الإبداع الفنّي من خلال العقل الإنساني وذلك بالتقاء الأوتار الداخليّة للإنسان بالأنشودة العلويّة الخالدة.

الفصل الثالث

الجمال في الفلسفة والأخلاق الإسلاميّة

أولاً: مقدّمة

ثانياً: الجمال بين الحقيقة والوهم

ثالثاً: حقيقة الجمال في الفلسفة الإسلامية

رابعاً: النزوع الفطري نحو الجمال

خامساً: الجمال والأخلاق والجاذبيَّة

الجمال في الفلسفة والأخلاق الإسلاميّة

أولاً: مقدّمة

من منَّا لا يغشى مجالسَ النَّاس وديوانيَّاتهم؟ ومن منَّا لا يطوف على الأحْباب والأصدِقاء والخلاَّن في دورهم ومنتَدَياتهم؟ ومن الَّذي لا يحضر أعراسَهم وأفراحَهم، ويقوم بما يجب عليْه تجاههم في آلامهم وأتراحهم؟ مَن منَّا لا يتهيَّأ لتلك المناسبات بما يظهره بمظهر حسَن وإطلالة بهيَّة ورَوْنق جميل؟!

بل إننا نجده يقف أمام المرآة يأخُذ من شعر رأسه ويمشِّط لحيتَه ويرتِّب من هندامِه، ويتضمَّخ بأزكى العطور ثمَّ يخرج إلى النَّاس، وقُل مثل ذلك في المرْأة؛ فإنَّها تفعل بنفسِها ما يفعله الرَّجل حين تريد أن تُخالط النساء من بنات جنسِها، بل وربما تزيد على الرَّجُل بأنَّ المرآة تستغرق منها السَّاعات الطوال والأوقات المملَّة.

على أيَّة حال، الأغلب هو ذاك الرجُل، وكلّ هذا جيِّد وحسَن، وجميعه مرغَّب فيه ومحبَّذ ومندوب إليْه، ما دام ضمن حدود المعْقول، من غير إفراط ولا تفْريط.

لكن أيكْفي هذا؟ وهل عند هذا الحدِّ انتهى الأمر؟ وهل يُغنينا أن نقِف عند هذه الظَّواهر دون أن نُعْنى بالبواطن، نحفل بالقشور دون أن نهتمَّ باللُّبّ والجوهر، كثيرون يغفلون عن هذه النقطة ويتجاوزونَها إلى المظاهر، ويمرُّون عليها مرور الكرام، هذا إن سمعوا بها وأدْركوها، وإلاَّ فهُم لا يعرِفونها البتَّة.

كان النبي الأكرم ﷺ إذا نظر في المرآة قال: «**اللهمّ أحسنت خلقي فأحسن خُلقي**»[1]، فكان يرسل بذلك رسالةً إلى أمّته أنّ العناية بالباطن - ومن ذلك القلب والأخلاق - أمر هو من صلب ديننا وشرعنا، ومقصد هامّ من مقاصد الشَّريعة الغرّاء، وأنَّ من يعتني بمظْهره الخارجي

(1) الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب، مشكاة الأنوار، تحقيق مهدي هوشمند، ط1، نشر ودار الحديث، 1418هـ، ص394.

فقط ويدَع الأمراض المعنويَّة والنفسيَّة تفعل فعلَها في داخله، هُو إنسان مغفَّل لا يدرك أين الخير، ولا يعرف حيثُ مصلحته فيبادر إلى تحصيلها.

اليوم يشقَى كثير من النّاس في قضيّة الجمال، ويبذلون وسعهم وطاقتَهم في الحصول على أحْدث مقاييس الجمال، وآخر صرخات الموضة والأزياء، الرجال والنساء في ذلك سواء، وإن كان الأمر أوْضح في جانب النساء، يُهرعون إلى دور التَّجميل وأطبّاء العمليّات التّجميليّة، ويسكبون المال الوفير أمامهم كي يَحصلوا على قسط من الجمال الصِّناعي الباهت، فالرجل يريد جسمًا كجسم اللاَّعب النَّجم الفلاني، وأنفًا كأنفه، وسحنة كسحنته، وقصَّة شعر كقصَّة شعره، والمرأة بدورها تُريد ذلك متمثّلة بالمطربة الفلانيَّة والممثلة الفلانيّة، وربَّما كان الذي يدفَعُها إلى ذلك هو زوجَها بعد افتِتانه بالممثلات والمطربات.

والسؤال الهام:

أيُّ جمال ذلك الذي تبحثون عنه وتنشدونه؟!

وأيُّ زينة تلك التي تلهثون وراءها؟!

ثانياً: الجمال بين الحقيقة والوهم

إنّ الجمال الحقيقي والزينة الأساسيّة هي زينة الدّاخل وجمال الباطن؛ أي: جمال الأخلاق، جمال الروح، جمال النّفس، والَّذي بدوره يطفح بعد ذلك على صورة المرء الخارجيَّة، الجمال هو جمال المُخْبر لا جمال المظهر، يقول الشاعر:

لَيْسَ الجَمَالُ بِمِئْزَرٍ فَاعْلَمْ وَإِنْ رُدِّيتَ بُرْدَا

إِنَّ الجَمَالَ مَعَادِنٌ وَ مَنَاقِبٌ أَوْرَثْنَ مَجْدَا

لَيْسَ الجَمَالُ بِأَثْوَابٍ تُزَيِّنُنَا إِنَّ الجَمَالَ جَمَالُ العِلْمِ وَالأَدَبِ

ليس الجمال تسمينًا أو تنحيفًا، ولا تشقيراً أو تبييضاً أو تغييراً...!!.

ليس من الحسن أن نسعى إلى ستر عورة الجسم ونترك عورة النَّفس باديةً للجميع، والله تفضّل علينا فقال: **﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ**

التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[1].

يقول الشاعر:

إِذَا المَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ ثِيَابًا مِنَ التُّقَى تَقَلَّبَ عُرْيَانًا وَإِنْ كَانَ كَاسِيَا

وَخَيْرُ لِبَاسِ المَرْءِ طَاعَةُ رَبِّهِ وَلا خَيْرَ فِي مَنْ كَانَ لِلَّهِ عَاصِيَا

ثالثاً: حقيقة الجمال في الفلسفة الإسلامية

نعني بالجمال كون الشيء على صفة معجبة، وإذا كان المتبادر من لفظه في اللغة هو الجمال المبصر فحقيقة معناه تعمّ غيره من المحسوسات والمتخيّلات بل تشمل المعاني أيضاً، فإن الذي يدرك الشاعر من لطيف المعاني في الأشعار المشتملة على الإستعارات والكنايات ليس إلاّ الجمال، وإن الذي يعجب الحكيم من تناسق الكون وحسن انتظامه، بل يراه صفة ذاتيّة للوجود ليس إلاّ الجمال، وإنّ الذي يروع العارف عند شهوده لملكوت السماوات والأرض ليس إلاّ الجمال.

أترى أنّ إنجذاب الطفل إلى الوردة الحمراء وشعلة الشمعة يكون لشيء غير جمالها؟ أليس ذلك إلاّ لما يعجبه من اللون الأحمر؟ وهل تحتمل أنّ جمال الحمرة في نظره إنّما هو بلاحظ الأجزاء وتناسبها؟ وإنّ الحمرة عرض بسيط.

و«إنّ النفس لا تتمكن من إدراك الجمال الموجود في المرتبة العالية ما دامت منغمرة في المرتبة السافلة، فإدراكها للجمال العالي دليل على وصولها إلى تلك المرتبة، وهكذا في الجمال الأعلى، ألا ترى أنّ النفوس المنهمكة في الشهوات البهيميّة قلّما تلتذ من المعاني اللطيفة؟ وبالعكس من ذلك فإنّ النفوس اللطيفة الشاعرة بالجمال المعنوي لا تهتمّ كثيراً باللذات البهيميّة»[2].

فالذي يعرفه كلّ انسان من الجمال إنّما هو معنى يحصله من مقايسة بعض الأشياء

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 26.

(2) اليزدي، محمد تقي المصباح، حقيقة الجمال ومعناه، مجلة الشعائر، باب فكر ونظر، بيروت، رجب 1431، حزيران 2010م، العدد الثاني، ص53.

ببعض، فما يعجبه منها يعدّه جميلاً.

وإنّ نفي الجمال عمّا يتنفّر منه إنما هو بحسب إدراكه وبالنسبة إلى نفسه، ولا ينافي ذلك كونه جميلاً عند موجود آخر، كما أنّه لا ينافي كونه جميلاً بحسب وجوده، مع صرف النظر عن مقايسته إلى موجود آخر.

فإذا أفاض الله على عبد بمعرفة - شهوديّة وعلم حضوري - بمراتب الوجود العالية لأدهشه جمالها، ولقضى عجباً وخرّ صعقاً، لعرف الوجود أنّ في ذاته جميل، وعرف مغذى قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾[1].

إنّ انجزاب النفس إلى الجميل إنّما هو لمصلحة لها وفيها وانتفاعها به، ففايته باستيفاء ما في الجميل من مصلحة ومنفعة، فالنظر إلى ما في الأشياء الجميلة من المنافع العظيمة للإنسان، ولولا جمال منظرها لما انعطف قلبه إليها وما استفاد منها، فجمال المناظر الطبيعية هو الذي يجرّ الإنسان إلى معالجتها والتفكّر فيها، وجمال الطفل هو الذي يأخذ بقلب الأم ويدفعها إلى تربيته، وهكذا، ولا يخفى الدور الذي يؤدّيه الجمال في الزواج وسائر شؤون الحياة الإجتماعية.

ومن المعروف حبّ النبيﷺ للطيب، فقد روي عنهﷺ قوله: «**حُبِّب إليّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرّة عيني الصلاة**»[2]، وروي أنّه كان إذا أبرد بريداً إختار حسن الوجه، روي: «**اطلبوا الخيرات عند حسان الوجوه**»[3]، وقد ذكر الفقهاء أنّ من مرجّحات إمام الجماعة صباحة وجهه، كما روي عن أبي بصير عن أبي عبد اللهعليه السلام قال: قال أمير المؤمنينعليه السلام: «**إنّ الله جميل يحبّ الجمال**»[4]، فللإنسان الإلتذاذ بالجمال في مختلف مراتبه ومظاهره والإنتفاع بمنافعه في شتّى شؤون الحياة ما دام لا يعارض مصلحة أقوى، ولا يمنعه من الترقّي إلى مرتبة أعلى، وقد تكفّلت الشريعة الغرّاء ببيان موارده ورسم حدوده،

---

(1) سورة السجدة، الآية: 7.

(2) البحراني، ميثم، الحدائق الناضرة، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ج1، 264.

(3) المفيد، محمّد بن محمد بن النعمان، الإختصاص، تحقيق علي أكبر الغفاري، السيّد محمود الزرندي، ط2، بيروت، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، 1993م، ص233.

(4) الكليني، محمد بن يعقوب، الأصول من الكافي، ج6، ص438.

وشاهد ذلك ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لن يدخل الجنّة من في قلبه مثقال ذرّة من الكِبَر، فقال بعض أصحابه: هلكنا يا رسول الله!.. إنّ أحدنا يحبّ أن يكون نعله حسناً وثوبه حسناً، فقال النبي ﷺ: ليس هذا الكِبَر، إنّما الكِبَر بطر الحقّ - عدم قبوله-، وغمص الناس - استصغارهم-**»[1].

رابعاً: النزوع الفطري نحو الجمال

الإنسان ينزع إلى الجمال نزوعاً مطلقاً، سواء كان الجمال في الخلق أم في الخُلق، وما من أحد يخلو من الإحساس بحبّ الجمال، فالمرء يسعى حتّى فيما يلبس إلى أن يكون جميل المظهر بقدر إمكانه.

فإنّك تشيّد العمارة مثلاً لتقيك من الحرّ والبرد، ومع ذلك فإنّك تُلبس هدفك ذلك بلبوس من الجمال والفنّ الجميل، وكذا حبّ الإنسان للطبيعة، فحيثما يرى ماء رائقاً، أو حوضاً للسباحة، أو بحراً، يحسّ باللذة والإنتعاش.

وكذلك الأمر في الفنّ، الذي يعني خلق الجمال، كالخطّ الذي يعدّ من الفنون القديمة جداً، فإنّ له قيمة كبيرة لدى الإنسان، فإنّك وحال نظرك إلى المخطوطات القرآنيّة تشعر بمتعّة النظر الخاص بالمنظور الملفت هذا، وتودّ لو تتملاّه مرّة بعد مرّة، حتّى أنّ البعض ومن شدّة جماله قد ينشغل عن قراءته، ذلك لأنّه يظلّ مبهوتاً من جمال خطّه.

خامساً: الجمال والأخلاق والجاذبيّة

ربط الكثيرون بين الجمال والأخلاق حتّى ذهبوا إلى القول بأنّ الأخلاق هي من مقولة الجمال وأنّه لا بدّ من تنمية حسّ الجمال عند الإنسان، فإذا استطاع الإنسان أن يدرك جمال مكارم الأخلاق والأخلاق الكريمة، فإنّه سوف لن يقدم على الكذب ولا على الخيانة. والسبب في أنّ بعض الأفراد يتلوّثون بالكذب هو أنّهم لم يدركوا جمال الصدق، والسبب في أنّ الإنسان يتورّط في الخيانة هو أنّه لم يدرك جمال الأمانة، إذن لا بدّ من تربية ذوق الجمال لديه حتّى

(1) العاملي، زين الدين بن علي، منية المريد، ط1، تحقيق رضا المختاري، قم - إيران، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، 1409هـ، ص175.

يدرك بالإضافة إلى ألوان الجمال المادي ألوان الجمال المعنوي.

وتحدّثوا عن جاذبيّة الجمال وأنّه يرافق الجاذبيّة بشكل مستمر ويرافق العشق والطلب والحركة والخضوع، ففي المجال الذي يتحقّق فيه الجمال توجد فيه أيضاً قوّة جاذبة ويتحقّق فيه العشق والطلب والحركة والنشاط، فنفس الجمال يبعث الحركة والنشاط[1].

(1) مطهري، مرتضى، فلسفة الأخلاق، ط2، بيروت، مؤسسة البعثة، 1995م، ص62.

الفصل الرابع

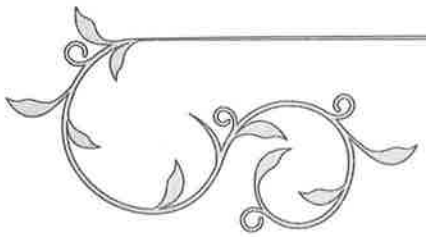

الجمال في القرآن والعقيدة

أولاً: الجمال في الأحاديث الشريفة

ثانياً: موقف الإسلام من الجمال

ثالثاً: ميادين الجمال

رابعاً: العقيدة والجمال

خامساً: استدلالات قرآنيّة بالعقل والجمال

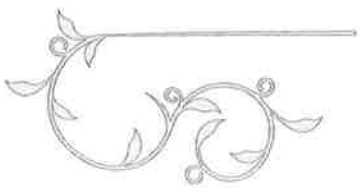

الجمال في القرآن والعقيدة

أولاً: الجمال في الأحاديث الشريفة

إنّ الإسلام باهتمامه بالحُسن والجمال ساهم في إرضاء وإشباع إحدى رغبات الإنسان الطبيعيّة، إضافة إلى أنّه أحيا في الأمّة مشاعر حبّ الجمال التي هي دليل واضح على تكامل منظومة الأبعاد الإنسانيّة عند الإنسان ونمو عواطفه ومشاعره خاصّة، فقد ورد عن أبي محمّد العسكري عليه السلام: «**حسن الصورة جمال ظاهر وحسن العقل جمال باطن**»[1]، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**عليكم بالوجوه الملاح والحدق السود**»[2]، ومن هنا فإنّنا نقرأ في الأحاديث العناوين التالية:

أ- جمال المرأة:

إنّ موضوع الجمال الطبيعي للمرأة بحسب الفهم الإسلامي يعتبر من المواضيع التي المتناول بكثرة، حيث لم يحصرها في الجمال الظاهري والخارجي فقط بل تعدّاه إلى المعنويات والأخلاق، اللذان اعتبرا من الأركان المهمّة والأساسيّة لجمال المرأة، وهذا ما تحدّث عنه النبي المصطفى صلى الله عليه وآله: «**أفضل نساء أمتي أصبحهنّ وجهاً وأقلهنّ مهراً**»[3].

ب- جمال الرجل:

وأمّا جمال الرجل من وجهة نظر الإسلام لا يقوم على أساس قوّته البنيويّة وإن كان مطلوباً بل ينطلق من أساس العقل والوعي والمعرفة والإدراك والدراية، فعن أمير المؤمنين

---

(1) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج1، ص95.

(2) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، ط1، قم - إيران، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، 1414هـ، ص312.

(3) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج3، ص386.

عليه السلام: «ميزة الرجل عقله وجماله مروءته»[1].

وروى جابر بن عبد الله الأنصاري: «**أنه قد أقبل العباس ذات يوم إلى رسول الله ﷺ وكان العباس طوالاً حسن الجسم فلما رآه النبي ﷺ تبسّم إليه، فقال: إنك يا عم لجميل!.. فقال العباس: ما الجمال بالرجل يا رسول الله؟!، قال ﷺ: بصواب القول بالحقّ، قال: فما الكمال؟.. قال ﷺ: تقوى الله عزّ وجلّ وحُسن الخلق**»[2].

ج- جمال السلوك:

وفي السياق نفسه ما ورد في وصية النبي ﷺ لأبي ذر الغفّاري: «**يا أبا ذرّ!.. من مات وفي قلبه مثقال ذرّة من كِبَر لم يجد رائحة الجنّة، إلاّ أن يتوب قبل ذلك، فقال: يا رسول الله!.. إنّي ليعجبني الجمال حتى وددت أنّ علاقة سوطي وقبال نعلي حَسَن، فهل يُرهب على ذلك؟ قال: كيف تجد قلبك؟ قال: أجده عارفاً للحقّ مطمئنّاً إليه، قال: ليس ذلك بالكِبَر، ولكنّ الكِبَر أن تترك الحقّ وتتجاوزه إلى غيره، وتنظر إلى النّاس ولا ترى أنّ أحداً عرضه كعرضك، ولا دمه كدمك...**»[3].

د- جمال العبادات:

ومن النوادر الملفتة ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله ﷺ قوله: «**الإتيان إلى الجمعة زيارة وجمال، قيل: يا أمير المؤمنين وما الجمال؟.. قال: ضوء الفريضة**»[4].

---

(1) الريشهري، محمد، العقل والجهل في الكتاب والسنة، ط1، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع 2000-1421م، ص54.

(2) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، ص497.

(3) النمازي الشاهرودي، علي، مستدرك سفينة البحار، تحقيق وتصحيح الشيخ حسن بن علي النمازي قم - إيران، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، 1419هـ، ج9، ص7.

(4) الطباطبائي البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة، ج6، ص50.

هـ- جمال العلم:

وعن الإمام علي عليه السلام: «**العلم جمال لا يُخفى، ونسيب لا يُجفى**»[1].

من هنا قد قرر الإسلام أنّه لا يمكن الوصول إلى الكمال الإنساني من دون العفّة، لهذا ورد عن الإمام علي عليه السلام أنّ «**زكاة الجمال العفاف**»[2].

ثانياً: موقف الإسلام من الجمال

قد واجه الإسلام الوثنيّة القديمة والوثنيّة الحديثة وسدّ الطريق إليها ليخرج الإنسان من ذلّ العبوديّة ويستظلّ بظلّ الألوهيّة وليتمتّع بالحرية الإنسانيّة داخل المنهج الربّاني فيحقّق إنسانيّته من خلال ثلاثة محاور:

أولاً: عقيدة سليمة ومؤثّرة، ترقى لحقيقة اليقين، وهذا الدور منوط بالعقل والفكر.

ثانياً: الثبات والإستقامة، ذلك بفعل الإرادة الواعية والاختيار الملتزم.

ثالثاً: التجديد والإبداع الخلاّق، الذي ينعكس حضوراً جماليّاً ملفت ورائع.

نعم، الإسلام يرى الجمال عقيدة وإرادة فكر وروعة وإبداع، توصل إلى الحقّ والخير، وهذا هو الجمال المطلوب إسلاميّاً.

ثالثاً: ميادين الجمال

أ- ميدان الصبر:

حيث نجد أنّ الصبر قد ذكر بالقرآن الكريم موصوفاً بالجمال، قال تعالى:

أولاً: ﴿وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ

---

(1) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج3، ص2062.

(2) المرجع السابق، ج2، ص1150.

﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[1].

ثانياً: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[2].

ثالثاً: في مخاطبة الله لنبيِّه: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾[3].

فالصبر عمل نفسي محض لا يشارك فيه أحد أحداً، فهو تماسك وتجلّد وانتقال من درجة إلى أخرى مع الرضى، ويستكمل الصبر جماله بعدم اليأس من رحمة الله وهو ما عبّر عنه يعقوب النبيّ بقوله: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾، وهو ما يمثّل رتبة «الجمال البائس» وليس «الجمال اليائس».

إنَّ جمال الصبر هذا ليس زخرف قول بل حقيقة عناصرها:

أولاً: حيث جعل الله للصبر الجزاء والدرجات والعلى في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[4].

ثانياً: قد جُعَلَ الله معيَّةً للصَّابرين في آيات عدَّة منها قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[5]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[6].

ثالثاً: الإيمان بالقدر حيث يطمئن المسلم أنَّ ما أصابه لم يكن يخطِّئه ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[7].

---

(1) سورة يوسف، الآية: 18.

(2) سورة يوسف، الآية: 83.

(3) سورة المعارج، الآية: 5.

(4) سورة الزمر، الآية: 10.

(5) سورة البقرة، الآية: 153.

(6) سورة الأنفال، الآية: 66.

(7) سورة الحديد، الآية: 22.

يقول الشاعر:

وَمَا هَـذِهِ الأيَّـام إلاَّ مَنَـازِلٌ ... فَمِنْ مَنْزِلٍ رَحْبٍ إلى مَنْزِلٍ ضَنْكِ

وَقَدْ دَهَمَتْكَ الحَادِثَاتُ وإنَّمَا ... صَفَا الذَّهَبُ الإبْرِيزُ قَبْلَكَ بِالسَّبْكِ

أمَا في نبي الله يُوسُفَ أُسْوَة ... لمثلكَ محبُوساً عنِ الظُّلْمِ والإفْكِ

أَقَامَ جميلَ الصَّبر في السِّجنِ برهةً ... فآل بِهِ الصَّبرُ الجميلُ إلى المُلْكِ

ب- ميدان الهجر:

ومن هذه الميادين ميدان الهجر حيث يخاطب القرآن الرسول ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾[1]، يعني التعامل الإسلامي المتجمّل، فلا عقاب ولا غضب، وهي خطّة الدعوة المحمديَّة، لخطاب القلوب والضمائر والبلاغ الهادئ والبيان المنير، فيصبح الهجر فيه هجراناً هادفاً ليست غايته تأكيد القطيعة إنّما التريّث حتى تتوفر إمكانيّة متابعة المسيرة، وهكذا يكتسب الهجران ثوب الجمال.

ج- التسريح:

ومن المواطن الأخرى التسريح، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾[2].

ويُستفاد من أسباب النزول أنّ نساء النبي قد طلبن منه طلبات مختلفة فيما يتعلق بزيادة النفقة، أو لوازم الحياة المختلفة، بعد بعض الغزوات التي وفّرت للمسلمين غنائم كثيرة... والنتيجة أنّ كلاً منهن طلبت شيئاً، فامتنع النبي ﷺ عن تلبية طلباتهن، وهو يعلم أنّ الاستسلام أمام هذه الطلبات التي لا تنتهي سيحمل معه عواقب وخيمة، واعتزلهن شهراً، فنزلت الآيات أعلاه وخاطبتهن بنبرة التهديد والحزم الممتزج بالرأفة والرحمة، بأنّكن إن كنتن تردن حياة مملوءة بزخارف الدنيا وزبارجها فبإمكانكن الإنفصال عن النبي ﷺ والذهاب إلى حيث تردن، وإن فضلتن علاقتكن بالله ورسوله واليوم الآخر، واقتنعتن بحياة النبي ﷺ البسيطة والباعثة

(1) سورة المزمل، الآية: 10.

(2) سورة الأحزاب، الآية: 28.

على الفخر، فابقين معه، وتنعمن بمواهب الله العظيمة[1].

د- الصفح:

وكذلك في الصفح في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾[2].

جاء في التفسير: يأمر الله تعالى نبيه الكريمﷺ أن يقابل عناد قومه وجهلهم وتعصبهم وعداءهم بالمحبة والعفو وغضّ النظر عن الذنوب، والصفح عنهم بالصفح الجميل، أي غير مصحوب بملامة فاصفح الصفح الجميل، لأنّك تملك الدليل الواضح على ما أمرت بالدعوة إليه، فلا تحتاج وإياهم إلى الخشونة لتثبيت عقيدة المبدأ والمعاد في قلوب الناس، فالعقل والمنطق السليم معك، بالإضافة إلى أنّ الخشونة مع الجهلة غالباً ما تؤدي بهم إلى الرد بالمثل، بل وبأشدّ من ذلك.

الصفح هو وجه كلّ شيء، ولهذا فقد جاءت كلمة «فَاصْفَحِ» بمعنى أدر وجهك وغض النظر عنهم، وبما أنّ إدارة الوجه وصرفه عن الشئ قد تعطي معنى عدم الاهتمام والنفرة وما شابه ذلك بالإضافة لمعنى العفو والصفح، فقد ذكرت الآية المتقدمة كلمة «الْجَمِيلَ» بعد «الصَّفْحَ»، وفي رواية عن الإمام علي بن موسى الرضاعليه السلام في تفسير هذه الآية أنّه قال: «العفو من غير عتاب»[3].

يقول الشاعر:

يا ربِّ إن عَظُمَتْ ذنوبي كثرةً ... فَلَقَد علمتُ بأنَّ عفـوَكَ أعظمُ

إنْ كانَ لا يرجوك إلاَّ محسـنٌ ... فبمن يلوذُ ويسـتجيرُ المُجـرِمُ

أدعوك ربِّ كما أمرتَ تضرُّعاً ... فإذا رَدَدْتَ يَدِي فمن ذا يرحـمُ

مالي إليك وسـيلةٌ إلاَّ الرَّجَـا ... وجميلُ عَفْوِكَ ثُمَّ أَنِّي مُسـلِمُ

تبيّن لنا من خلال ما سبق أنَّ الإسلام خَطَى بالجمال خطوات بعيدة المدى فأوصله إلى حيث لا عهد للناس به، وهذا ما يظهر من خلال تركيز القرآن الكريم على الاهتمام بالجانب

---

(1) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج3، ص-226 227.

(2) سورة الحجر، الآية: 85.

(3) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج8، ص-107 108.

المعنوي للإنسان فكان جمال الصبر والهجر والتسريح والصفح وغيرها من الميادين.

رابعاً: العقيدة والجمال

إنّ السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل هناك علاقة بين الجمال والعقيدة؟

الجواب: هو أنّ الجمال أمر قائم في بنية المنهج الربّاني ألا وهو العقيدة وما هو قائم في صنعة الله تعالى «الكون»، وهو كذلك في فطرة الإنسان، الفطرة التي عبّرت عنها آيات الكتاب المبين بالقول: ﴿**فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[1]، كما أنّ الجمال صفة من صفات المولى تبارك وتعالى، وهذا ما بيّنته الروايات الشريفة ومنها أنّ «الله جميل...»، وهذا ما قرّره العقل أيضاً، فالكمال المطلق هو صفته سبحانه وتعالى وإنّما يبلغ الكمال غايته بالجمال.

خامساً: استدلالات قرآنيّة بالعقل والجمال

إنّ المتابع لاستعمالات القرآن الكريم يجد أنّ لفظة «الجمال» بالتعريف أو «جمال» بالتنكير، كما لفظة «الحُسن» قد ورد وبكثرة تارة في الصور وتارة في المعاني، وقد لفت القرآن النظر إلى الجمال عن طريق الحديث عن آثاره على العين وعلى النفس.

وليس غريباً أن يلجأ القرآن إلى الجمال ليكون حجّة ودليلاً في هذا الميدان كبرهان نفسي وصولاً إلى الوجدان عن طريق المشاعر، وقد اعتمد القرآن على البراهين العقلية بمقدار ما يشغل الساحة التي يهيمن عليها العقل في كيان الإنسان، واستعمل المنطق الجمالي بالمقدار الذي يشغله الجمال من ساحة المشاعر والأشواق، وقد استخدم القرآن نوعين من الأدلة ليخاطب الإنسان بكليّته، فلا يخاطب فكراً عن انفراد، ولا مشاعر عن انفراد، فقد أشرب الدليل العقلي بالمعنى الجمالي، وانساب البرهان الجمالي إلى النفس يحمل في طياته لغة العقل - قناعة عقليّة ووجدانيّة - أي برهان جمالي بلغة العقل، وعقل مشرب بالمعنى الجمالي، وعلى سبيل المثال نذكر الشواهد التالية:

---

(1) سورة الروم، الآية: 30.

أ- ﴿أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾:

يقول تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ × أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

نعم هي ﴿حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ كفيلة بإحياء القلوب واستيقاظ النفوس لترى الجمال وآثار الإبداع الرائع، وإنها كذلك ﴿أَنْهَارًا﴾ منسابة ومتفجّرة مع صوت التدفّق ونبض الحياة، إنّه الجمال الذي يملأ العين والأذن معاً وإنها ﴿رَوَاسِيَ﴾ أيضاً، وبعد ذلك السؤال الكبير والأساس في العقيدة التوحيديّة ﴿أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾.

ب- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ونقف عند نصّ قرآنيّ آخر، يقول تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ × فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ × وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ × فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ × خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ × وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ × فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[2]، وقوله أيضاً: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ × بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ × فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ × يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ × فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ × وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ × فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[3].

هذه الآيات الكريمة وشاح جماليّ تدثّر به الأرض والبحر والحدائق والحياة الجماليَّة البارزة منها تجاوزت حدود الضرورات لتلبّي المشاعر والوجدان، وبعد ذلك ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، إنّه الجمال يؤدّي دوره في بناء العقيدة.

ج- ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾:

إنّ البناء العقائدي هنا لا يكون بالإكراه ولكن بالإقناع بإمعان النظر فيها في مخاطبة

---

(1) سورة النمل، الآية: 60-61.

(2) سورة الرحمان، الآية: 10-13.

(3) سورة الرحمان، الآية: 19-25.

العقول من خلال الحسّ الجماليّ والتأمليّ، حيث يقول تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا من فُرُوجٍ × وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا من كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ × تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ × وَنَزَّلْنَا منَ السَّمَاء مَاء مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ × وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾[1].

ناهيك عن الموسيقى الجماليَّة المنبثقة من خلال الألفاظ القرآنيَّة والإشارات الإبداعيَّة والصور الجماليَّة.

كما وأنَّ الآيات توجّهنا للنظر في أمور ثلاثة متداخلة، وهي:

أ- ﴿كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾: توجّه عقلي.

ب- ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾: توجّه جمالي.

ج- ﴿وَمَا لَهَا من فُرُوجٍ﴾: جمالي وعقلي.

د- ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾:

وبعد هذه المشاهد الجماليّة في المقطع السابق ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى﴾ فإنها وإن كانت تدعو للنظر والتأمّل فإنّ الآيات التاليات تدعو للنظر والتعمّق للمقارنة والإستنتاج حيث يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ منَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ × وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ منْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[2].

وهكذا يدخل الجمال عنصراً مهمّاً في بناء العقيدة وتأكيدها، وإنّ اعتماد الجمال في أمر العقيدة ليس أمراً عرضياً، بل هو أمر مقصود.

---

(1) سورة ق، الآية: 6-10.

(2) سورة فاطر، الآية: 27-28.

الفصل الخامس

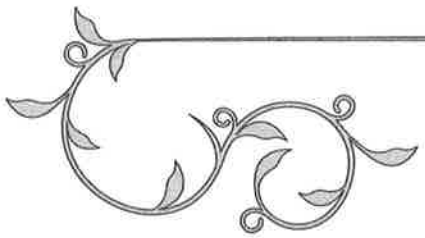

الفطرة والجمال

أولاً: الجمال وأصل الخلق

ثانياً: الجمال الكوني

ثالثاً: الجمال الإنساني

رابعاً: فطريّة الشعور بالجمال

خامساً: آثار الجمال على النفس

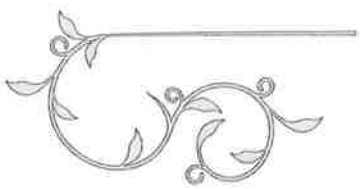

الفطرة والجمال

أولاً: الجمال وأصل الخلق

إنَّ الجمال سمة وضّاحة في الصنعة الإلهيّة، فحيثما اتجهت وجدت صنعه الجميل، والقرآن الكريم يسجّل هذه الجماليات لبديع صنع الخالق في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾[1]، والإحسان في الآية هو بلوغ الغاية في أداء المهمّة التي أعدّ لها لهذا الشيء، وهو في الوقت نفسه تأكيد للجانب التحسيني والجمالي، ممّا يؤكّد أنّ الجمال مقصود في ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ولو لم يكن الأمر كذلك لكان قوله: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[2] لا يفي بالمقصود، إلاّ أنَّ الإتقان أيضاً يعني التحسين والتجميل ومع ذلك قال: ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ والإتقان يعني الجمال، وخاصّة إذا كان الأمر متعلّقاً بصنعة الله.

فهو بديع السموات والأرض ومع ذلك تأتي كلمة ﴿أَحْسَنَ﴾ لتسجّل «الحسن» مقصداً مهمّاً في مخلوقات الله وفي قوله: ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ تأكيد على عموم هذا الأمر ولتأكيد هذا المعنى مضاف إليه التحدّي والإعجاز يؤكّد القرآن بقوله: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾[3]

فعنصر الجمال المقصود قصداً في هذا الوجود، واتقان الصنعة يجعل كمال الوظيفة في كل شيء لا يصل إلى حدّ الجمال.

ثانياً: الجمال الكوني

إنّ القرآن الكريم عندما يتحدّث عن السماء لا ينفي الخلل فحسب إنّما يتحدّى الناظرين،

---

(1) سورة السجدة، الآية: 7.

(2) سورة النمل، الآية: 88.

(3) سورة لقمان، الآية: 11.

بل وتكرار النظر زيادة في التحدّي وتأكيداً للرؤى الفنيّة النقديّة، يقول تعالى: ﴿الَّذي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ× ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[1].

ويسجّل القرآن عملية التزيّن في قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾[2] فالزينة مقصودة بالمصابيح، وقد تكرّر هذا التزيين في قوله:﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾[3]، وفي قوله: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاء بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾[4]، وفي قوله تأكيداً للقصد الجمالي في الخلق: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[5]، وفي قوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا﴾[6].

فالبهجة المقصودة، إذ هي الوصف المخصّص هنا، فالإنبات لم يكن للحدائق وحسب، وإنما للحدائق ذا البهجة.

ثالثاً: الجمال الإنساني

إنّ المرحلة الأولى من الجمال الإنساني كان التسوية والتعديل، فعدم الخلل وعدم النقص هو الحد الأدنى من الجمال، ويلفت القرآن في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ × الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾[7]، أي جعلك سويّاً مستقيماً معتدلاً على أحسن الهيئات والأشكال.

---

(1) سورة الملك، الآية: 3-4.

(2) سورة الملك، الآية: 5.

(3) سورة ق، الآية: 6.

(4) سورة الحجر، الآية: 16.

(5) سورة فصلت، الآية: 12.

(6) سورة النمل، الآية: 7-6.

(7) سورة النمل، الآية: 7-6.

وفي قوله أيضاً ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾[1]، وقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾[2]، «من التسوية، وهي الترتيب والتنظيم، ويضمّ هذا المفهوم بين جناحيه كلّ أنظمة الوجود، مثل النظام السماوي بنجومه وكواكبه، والأنظمة الحاكمة على المخلوقات في الأرض، ولا سيما الإنسان من حيث الروح والبدن، أما ما قيل من كونها إشارة إلى نظام اليد أو العين أو اعتدال القامة، فهذا في واقعه لا يتعدّى أن يكون إلاّ بيان لمصداق محدود من مصاديق هذا المفهوم الواسع»[3].

وينتقل القرآن إلى مرحلة أرقى في عمليّة خلق الإنسان، فيقول تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[4]، المراد بالتصوير[5] إعطاء الصورة وصورة الشئ قوامه ونحو وجوده كما قال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[6] وحسن الصورة تناسب تجهيزاتها بعضها لبعض والمجموع لغاية وجودها، وليس هو الحسن بمعنى صباحة المنظر وملاحته بل الحسن العام الساري في الأشياء كما قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾[7].

ونلاحظ أن الفعل «صوّر» لم يستعمل في القرآن إلاّ في صدد الحديث عن الإنسان، وبأسلوب الخطاب له، وتخصيص الإنسان بأسلوب من الخلق وهو «التصوير»[8].

وقد استخدم القرآن وسائل جماليّة في تعامله مع الإنسان، والزينة المطلوبة في هذا الإنسان، فقد عدّد القرآن الرياش والياقوت والمرجان واللؤلؤ في وصف الإنسان أو حور العين

---

(1) سورة الحجر، الآية: 29.

(2) سورة الأعلى، الآية: 2.

(3) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج20، ص126.

(4) سورة التغابن، الآية: 3.

(5) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن الكريم، ط2، بيروت، لبنان، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 2002، ج9، ص95.

(6) سورة التين، الآية: 4.

(7) سورة السجدة، الآية: 7.

(8) راجع السور التالية: غافر 64، التغابن 3، الأعراف 11، آل عمران 6، الإنفطار 8.

في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا﴾[1] ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ × فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ × كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ»[2]، «وَحُورٌ عِينٌ × كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾[3].

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾[4].

فالحسن والجمال مقصود في الكون والإنسان والأشياء، والجمال مقصود في أصل البناء الكوني ينحو نحو الكمال، والتعبير عن الكمال يكون عن طريق الجمال فلا صدفة في هذا الوجود فكل شيء خلقه الباري بقدر وسويّة وصورة أرادها بيده تبارك وتعالى.

رابعاً: فطريّة الشعور بالجمال

من المسلّمات طهارة المولود في الإسلام، وأنّ الله تعالى فطره على ثلاثة أنواع أساسيّة من الحب، وهي حبّ الخير، وحبّ الجمال، وحبّ الكمال، وكلّ نوع من هذه الأنواع الثلاثة تولّد لدى الإنسان اتجاهاً نحو الخير، غير أنّ الدائرة المحيطة بالإنسان تدفعه نحو الجنايات والخطايا، مع تفاعل داخلي متواصل ما يوصله إلى الإنحراف، غير أنّ الإنسان وبفطرته تلك يريد أن يتكامل وفقها ويكون خيّراً في حياته، فقولنا إن الإحساس بالجمال أمر فطري، يعني أصالته في جبلّة الإنسان، والميل إليه طبيعة في النفس، تهفو إليه حيث وجد، وتشتاقه إذا غاب.

إنّ القرآن الكريم حينما يتحدّث عن امتنان المولى تعالى على البشر، فيقول: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾[5]، إشارة إلى تلبية تلك الحاجات الجماليّة فضلاً عن الاحتياجات الضروريّة والأساسيّة.

ومن نتائج هذا الشعور الفطري والنفسي، تأمّل أيّها القارئ الكريم هذه الكلمات القرآنيّة والتي تبيّن آثار الجمال على النفس الإنسانيّة.

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 26.

(2) سورة الرحمان، الآية: 56- 58.

(3) سورة الواقعة، الآية: 22- 23.

(4) سورة الإنسان، الآية: 19.

(5) سورة القصص، الآية: 60.

خامساً: آثار الجمال على النفس

المشهد الأول: موقف قوم موسى عليه السلام من قارون

حيث تتحدّث الآيات القرآنيّة عن موقف قوم موسى عليه السلام من قارون وما أوتي من كنوز، فقد انقسم المشاهدون إلى فريقين: فريق يتمنّى وآخر يتسامى، فالمشهد مؤثر في النفس ولكن وجود الإيمان هو العامل المضادّ في النفوس المؤمنة.

فلنقرئ النصّ القرآني لهذا المشهد: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ × وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾[1].

المشهد الثاني: موقف بلقيس مع سليمان عليه السلام

أمّا المشهد الثاني كان موقف «بلقيس» ملكة سبأ التي دعيت لمقابلة سليمان عليه السلام حين كشفت عن ساقيها تريد الخوض في تلك اللجّة فقيل لها عندئذ إنّه ﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾، فقد كانت دهشتها عظيمة إزاء هذه المفاجأة حيث وجدت نفسها أمام فنّ وجمال ليس في مقدور البشر صنعه، وإزاء هذا الجمال الآخّاذ، أعلنت إسلامها لله مع سليمان.

وفي هذا المشهد يقول تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2].

وهكذا يأتي إسلامها أثراً مباشر لهذه الرؤية ودليلاً على سلطان الجمال على النفوس.

المشهد الثالث: قصّة يوسف عليه السلام وامرأة العزيز

أمّا المشهد الثالث فهي قصة يوسف عليه السلام وخروجه على نسوة المدينة وكانت المفاجأة

---

(1) سورة القصص، الآية: 80-79.

(2) سورة النمل، الآية: 44.

غير المتوقعة، وقد سجّل القرآن تأثير هذه المفاجأة على نفوس نسوة المدينة ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾، ونشاهد هذه الجلسة من خلال التعبير القرآني في قوله: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ × فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ × قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ...﴾[1].

ويشير العلاّمة الطباطبائي في تفسيره الميزان إلى «الفرق بين العزيزة وبينهنّ -النسوة- فإنّ استغراقها في حبّ يوسف إنما حصل لها تدريجاً، وأمّا نساء المدينة فإنهنّ فوجئن به دفعة ففشيت قلوبهنّ غاشية الجمال»[2].

المشهد الرابع: دعوة زكريّا عليه السلام الصادقة

أمّا المشهد الرابع فيظهر الجمال في صورته الباطنة، وأنّه جمال لا يقلّ أثراً عن الجمال الظاهري، حيث تتمثّل فيه استقامة الفطرة وصدق الحسّ، ورهافة المشاعر وصدق العاطفة، إنّه زكريا عليه السلام، يقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ × فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ × فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ × هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[3].

وهنا تعامل زكريا مع المعاني الجميلة طهراً وحياءً عبادة وخشوعاً صادقاً مع الله ولجوءاً إليه، وإذ بجمال الإنسانيّة يتمثّل حباً شاخصاً أمام عينيه وتتجسّد فيتعامل معها ويلبّي

---

(1) سورة يوسف، الآية: 32-30.

(2) أنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن الكريم، ج11، ص149.

(3) سورة آل عمران، الآية: 35-38.

الله دعوته لا بالولد فحسب بل بالمواصفات التي تمنّاها ورغب فيها بقوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[1].

والقرآن حين يسجّل أثر الجمال على النفس لا يسجّله من ميدان واحد بل من ميادين عدّة، حيث للجمال سلطانه الواسع على النفس البشرية، وما له من أثر فاعل وكبير في قيادتها والأخذ بيدها، وهذا ما أشرنا إليه في الحديث عن ميادين الجمال، فتنبّه..

(1) سورة آل عمران، الآية: 39.

الفصل السادس

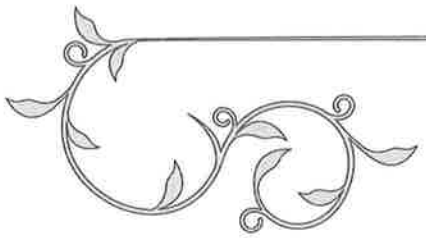

الجمال بين البلاء والجزاء

أولاً: الجمال وسيلة للإختبار

ثانياً: الجمال جزاء العمل الصالح

ثالثاً: الجمال الباطني والظاهري

رابعاً: النفاق والرياء بين الباطن والظاهر

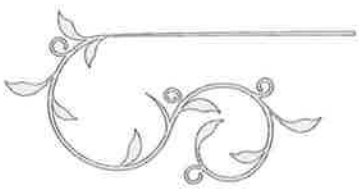

الجمال بين البلاء والجزاء

أولاً: الجمال وسيلة للإختبار

يقول تعالى في كتابه المجيد: ﴿تَبَارَكَ الَّذي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ × الَّذي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[1]، وفي قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[2]، وفي قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[3]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[4].

نجد في هذه الآيات الكريمة أنّ الجمال وسيلة للإختبار فأيّهما أحسن وأجمل عملاً في الحياة الدنيا، وأنّ ميدان الشر والخير ميدان للإختبار وأنّ الإبتلاء الذي تشير إليه الآية كان في الزينة والجمال أيضاً، وهذا ميدان يُضاف إلى ميادين الجمال[5].

وقد تكون الزينة هي المنزلق الذي يسبّب الإخفاق في هذا الإختبار بما لها من سلطان على النفوس، هذا السلطان الذي اعتمد عليه إبليس في إغواء بني آدم، حيث يقول عنه تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ × إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[6].

فالزينة هي طريق الغاوية فقد حدّد إبليس الساحة وهي الأرض، وحدّد فيها عدّته

---

(1) سورة الملك، الآية: 1-2.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 35.

(3) سورة الكهف، الآية: 7.

(4) سورة طه، الآية: 131.

(5) راجع الفصل الرابع من هذا الباب، الفقرة الثالثة، بعنوان: «ميادين الجمال».

(6) سورة الحجر، الآية: 39-40.

﴿لأُزَيِّنَنَّ﴾، تزين القبيح وتجميله، وإلباس الباطل لباس الحق، فيرى الناس القبيح جميلاً فتكون الغاوية، بتزيّن العمل وإلباسه الحسن والجمال، وهكذا ضلّ من ضلّ من بني آدم بسبب هذه الغاوية بأدوات الجمال.

وقد مارس الشيطان عمله بهذه الغاوية، يقول تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾[1]، ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾[2].

﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3].

وبهذه الطريقة استطاع الشيطان أن يقوم بعمليّة تزيف الحقائق والقيام بعمليّات مخادعة لمنافذ الإدراك من العين والسمع وحتى القلوب، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[4].

فكان هذا التزييف للسمع والبصر والقلب تحت ستار الزينة الخادعة، وهكذا انحرفت الأديان وانحرف الناس وتحوّرت عبادة الواحد القهّار إلى وثنيّة، وقد استخدم الكهنة كما استخدم إبليس أدوات الفنّ.

ثانياً: الجمال جزاء العمل الصالح

بما أنّ للحسن الأثر البالغ على النفس فقد جعله الله تعالى جزاءً للعمل الصالح، والجمال هو العنصر الأبرز في الثواب، وقد جاء التركيز على حاسة البصر، وحاسة البصر التي تعتبر الوسيلة لاستشعار الألوان المختلفة من النعيم في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

(1) سورة العنكبوت، الآية: 38.

(2) سورة النمل، الآية: 24.

(3) سورة النحل، الآية: 63.

(4) سورة الجاثية، الآية: 23.

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1]، وقوله: ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾[2].

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[3].

وتنقل العين عبر هذه المشاهد إلى جمال الجنّات التي التفّت أشجارها وتلاقت أغصانها والمياه المنسابة الرقراقة والحلي الملوّنة والألبسة الحريريّة تتناسب مع الجو العام إنّها مشاهد تحار العين على أيّها تستقر.

ومشهد آخر حيث تعجز الكلمات عن الوصف، ويسرح الفكر في النعيم المقيم، يقول تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[4].

ويمكن لنا أن نعيش مع إحدى المشاهد الجماليّة التي تناولت الأمر بشيء من التفصيل وذلك في قوله: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا × وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا × مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا × وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا × وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا × قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا × وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ×عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا × وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا × وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا × عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا × إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾[5].

---

(1) سورة التوبة، الآية: 72.

(2) سورة الكهف، الآية: 31.

(3) سورة الحج، الآية: 23.

(4) سورة الزخرف، الآية: 71.

(5) سورة الإنسان، الآيات: 22-11.

إنه مشهد يشعّ الجمال من كلّ أرجائه ويبدو كذلك في كل جزئيّة من جزئيّاته وهو يؤدّي دوره في أداء المتاع حقه من الوصف والإيضاح وهكذا يلتقي المتاع والجمال، وهي سمة واضحة في كل نعيم الآخرة.

إنّها كلمات جماليّة لوصف «الجنّة» وما فيها من نعيم و﴿الْأَرَائِكِ﴾ تؤدي دورها في جمال المنظر، و﴿ظِلَالُهَا﴾ لأداء الدور الجمالي في دنوها وحركتها، و﴿بِآنِيَةٍ﴾ ليست مجرّد أوعية لتؤدّي الغرض فيما أعدّت له، ولكنّها جماليّة من نوع خاص.

إنّها قوارير من فضّة شفّافة، فهي في مادتها فضّة وفي شفافيتها زجاجيّة إنّه الجمال المعجز، وهكذا نجد أنّ النصوص القرآنيّة تهتمّ بعرض الجمال لما له من أثر عميق في النفس، فكان هذا الوصف بياناً للجزاء من جهة، وإغراءً بالعمل الصالح وحثاً عليه من جهة أخرى.

ثالثاً: الجمال الباطني والظاهري

إنّ الجمال الباطني هو أعظم منزلة من الجمال الظاهري، ومن هذا المنطلق فإنّ شاباً جميلاً يملك مظهراً يتّسم بالجمال الظاهري إذا كان يفتقد للجمال المعنوي فإنّ الناس الواعين سوف لا ينبهرون بجماله الظاهري بل سينظرون إليه نظرة نفور وكراهية.

وهذا ما نراه ونشاهده من الحياة الإجتماعية وخصوصاً ما يرتبط بالزواج مثلاً، فعن الرسول الأكرمﷺ: «**من تزوّج إمرأة لا يتزوّجها إلاّ لجمالها لم ير فيها ما يحب، ومن تزوّجها لمالها لا يتزوجها إلاّ له وكّله الله إليه، فعليكم بذات الدين**»[1].

وعن الإمام الصادقعليه السلام: «**إذا تزوّج الرجل المرأة لمالها أو لجمالها لم يرزق ذلك، فإن تزوّجها لدينها رزقه الله عزّ وجل مالها وجمالها**»[2].

وقد ورد في أصناف النساء في رواية النبيﷺ: «**واعلم أنّ النساء شتّى: فمنهن الغنيمة والغرامة وهي المتحببة لزوجها والعاشقة له، ومنهن الهلال إذا تجلى، ومنهن الظلام الحنديس - شديد الظلمة - المقطبة، فمن ظفر بصالحهن يسعد، ومن وقع**

(1) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة، ج14، ص31.

(2) الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب، مكارم الأخلاق، ط6، نشر منشورات الشريف الرضي، 1972م، ص203.

في طالحهن فقد ابتلي وليس له انتقام، وهن ثلاث: فامرأة ولود ودود، تعين زوجها على دهره لدنياه وآخرته، ولا تعين الدهر عليه، وامرأة عقيم لا ذات جمال ولا خلق، ولا تعين زوجها على خير، وامرأة صخابة ولاجة همازة، تستقل الكثير ولا تقبل اليسير وإياك أن تغتر بمن هذه صفتها، فإنّه قال رسول الله ﷺ: «إيّاكم وخضراء الدمن» قيل: يا رسول الله ومن خضراء الدمن؟ قال: «المرأة الحسناء في منبت السوء»[1].

ومن هنا جاء التأكيد على النظر والتأمّل في الجمال الباطني وطريقة الحصول عليه وعدم الاغترار بالظاهر، حتّى أنّ هذا التأكيد سرى في العديد من المسائل، فمن العناية النبويّة والإرشاد المحمّدي ما ورد في آدب النظر إلى المرآة، «**فإذا نظرت فيها - المرآة - فضع يدك اليمن على مقدَم رأسك، وامسح على وجهك، واقبض لحيتك، وانظر في المرآة، وتقول: «الحمد لله الذي خلقني بشراً سويّاً، وزيّنني ولم يشنّي، وفضّلني على كثير من خلقه، ومنّ عليّ بالإسلام ورضيه لي ديناً»، ثم ضعها من يدك وقل: «اللهم لا تغيّر ما بنا من أنعمك، واجعلنا لأنعمك من الشاكرين، ولآلائك من الذاكرين»**[2]

رابعاً: النفاق والرياء بين الباطن والظاهر

إنّ الأصل في مسألة الظاهر والباطن اعتبارهما وجهان لحقيقة واحدة، وتلازمهما في التحقّق الخارجي، فانفراد أحدهما دلالة على حالة مرضيّة، ونعني بالانفراد اختلاف الباطن مع الظاهر، والعكس كذلك، فإن اتفق أن اختلف الظاهر عن الباطن، سمّي «نفاقاً» كما ورد في العقيدة، أو «رياءاً» كما ورد في العبادات الدينيّة، وقد حكموا على عمل المرائي بالبطلان، وقد أشار القرآن الكريم إلى هاتين الحالتين:

ففي الحالة الأولى: من انفراد الظاهر - النفاق - يقول تعالى: **﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ**

---

(1) ابن بابويه، محمد بن علي، فقه الرضا، ط1، مشهد - إيران، نشر المؤتمر العالمي للإمام الرضا1406 ،عليه السلام هـ، ص234.

(2) المرجع السابق، ص 395.

لَكَاذِبُونَ﴾[1].

وفي الحالة الثانية: من انفراد الظاهر - الرياء - يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[2].

وبهذا التوضيح:

فلا يكون للجمال وجوداً حقيقيّاً إلاّ حينما يكون سمة للظاهر والباطن في آن واحد ويكون التناسق بينهما، أمّا إذا كان سمة للظاهر فحسب ومن خلفه باطن فارغ فهو جمال تافه لقوله تعالى على المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[3].

(1) سورة المنافقون، الآية: 1.

(2) سورة البقرة، الآية: 264.

(3) سورة المنافقون، الآية: 4.

الفصل السابع

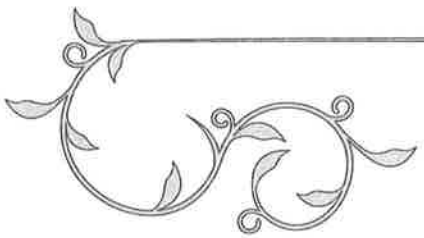

الجمال بين السمة والبنية

أولاً: سمات الجمال

ثانياً: الخصائص البنائيّة للجمال الإسلامي

الجمال بين السمة والبنية

أولاً: سمات الجمال

أ- السلامة من العيوب:

إنّ الجمال يُدرك من النظرة الأولى، لكنّه لا يكون حقيقياً إلاّ إذا خضع لرؤية عقليّة متفحّصة، فيكون الحكم حينئذٍ صادقاً وحقيقيّاً.

وتعتبر السلامة من العيوب هي السمة الأولى التي يتفحّص العقل وجودها في الشيء الجمالي.

ولأنّ السلامة هي سمة ضروريّة لتحقيق الجمال فقد وصف الله تعالى كتابه المجيد بأنّه سالم من أيّ خلل، وذلك في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾[1].

ب- القصد:

وسمة القصد تعني نفي العبثيّة، وإثبات الهدفيّة للموضوع الجمالي، وإذا كانت السلامة من العيوب سمة ترتبط بالموضوع الجمالي ذاته، فإنّ السلامة من العبث تعني وجود باعث وغاية للموضوع ألا وهو القصد، وهذا ما نجده واضحاً في آيات القرآن الكريم.

حيث يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾[3].

---

(1) سورة الكهف، الآية: 1.

(2) سورة ص، الآية: 27.

(3) سورة الأنبياء، الآية: 27.

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ...﴾[1].

ج- التناسق:

إنّه النظام الخفيّ الذي يربط الأشياء بعضه ببعض فتبدو في وحدة متجانسة ومتكاملة ومتوازنة.

فالتناسق إذن يكون في التقدير والضبط وتحديد نسب الأشياء بعضها بمقدار، نجد ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[2].

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[3]، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾[4].

ويقول تعالى عن تناسق الكون: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[5]، وفي قوله: ﴿..وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ...﴾[6].

وفي حديثه عن الأرض: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾[7]، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[8].

وفي صدد الحديث عن الإنسان يقول تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾[9]، وفي قوله: ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ × مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ × مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾[10].

د- التنظيم:

يلتقي التنظيم كسمة جمالية مع التناسق، ولكن التنظيم يختصّ بتناسق الأبعاد، بينما

---

(1) سورة التغابن، الآية: 3.

(2) سورة القمر، الآية: 49.

(3) سورة الفرقان، الآية: 2.

(4) سورة الرعد، الآية: 8.

(5) سورة الأنعام، الآية: 96.

(6) سورة المزمل، الآية: 20.

(7) سورة الحجر، الآية: 19.

(8) سورة الحجر، الآية: 21.

(9) سورة الإنفطار، الآية: 7.

(10) سورة عبس، الآية: 19-17.

تبقى سمة التناسق عامّة تشمل جميع الاتجاهات.

وقد استخدمت سمة التنظيم في بيان الجمال في الجنّة ضمن التنسيق الجمالي فالسرر مصفوفة والوسائل مهيّأة، ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ...﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾[2].

وقد يظهر التنظيم بأسلوب آخر كالتنفيذ والترتيب، ففي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾[3]، وفي قوله: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾[4].

والبناء ميدان فسيح لظهور سمة النظام، ففي الجنة غرف أعدّت للمتقين بعضها فوق بعض، في قوله تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾[5].

ثانياً: الخصائص البنائيّة للجمال الإسلامي

تميّز الجمال الإسلامي بمجموعة من الخصائص وبُنِي على أساسها، وهي:

أ- الوظيفيّة:

فإنّ العمل الفنّي الإسلامي جزء من الحياة، والإسلام كعقيدة يحضّ على إتقان العمل، عن رسول الله أنه قال: «**ولكنّ الله يحبّ عبداً إذا عمل عملاً أحكمه**»[6]، وذلك لبلورته عملاً ناجحاً.

والمقصود هنا هو وجوب كون العمل مؤديّاً لوظيفة، بل أكثر من ذلك فالمطلوب وبوضوح هو أن يكون العمل جزءً من النجاح في الحياة، وكماله لا مجرّد شيئاً بعيداً عن الواقع والتكامل.

---

(1) سورة الطور، الآية: 20.

(2) سورة الغاشية، الآية: 15.

(3) سورة نوح، الآية: 15.

(4) سورة ق، الآية: 10.

(5) سورة الزمر، الآية: 20.

(6) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج3، ص2132.

ب- التفكير:

الإسلام يدعونا إلى التأمل والتفكّر، وتحليل العالم وإعادة تركيبه من خلال ركنين أساسيين الفكر والعمل، ومن هنا جاء قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّ التفكّر يدعو إلى البرّ والعمل به**»[1]، وغيرها من الروايات التي تأكّد على التفكّر وثوابه بما يساوي «**ساعة تفكّر خير من عبادة سبعين سنة**» كما روي.

ج- العبادة:

ولأنَّ الدين رؤية حياتيَّة شاملة، ولأنَّ إتقان العمل وإعمال الفكر فريضة إسلاميّة، فالإسلاميّة أساساً تتجلّى في شكل العبادة بمفهوم التقرّب والإمتثال لله سبحانه وتعالى وصولاً لمرضاته ونيلاً لرحمته.

فالعمل الفنّي هو شكل خاصّ من أشكال العبادة في الإسلام، ولذا سنجد أنّ كثيراً من الفنون الموسومة بالإسلاميّة كقراءة القرآن وتجويده والخطّ العربي هي ضرب من ضروب العبادة وتكريس لعظمة الخالق وجلاله، فالفنّ وفق الرؤية الإسلاميّة تمجيد للجلال وتسبيح بالجمال، «وهو انتقال من الجميل إلى الجليل وهدفه هو الوصول والتوسّل للخالق سبحانه من خلال تصوير الجمال في الحياة وفي الكون الذي هو إبداع الخالق»[2].

وهذه الخصائص الثلاثة تنبثق من مفهوم أساسيّ وركن ركين في العقيدة الإسلامية وهو مفهوم التوحيد، فالتوحيد يعني العبادة الخالصة لوجهه تعالى بالتسبيح بحمده والتوسل بجلاله وعظمته وهذا ما مكّن الإنسان لأداء الدور المكلّف به من الباري بأن يكون مستخلفاً وبالتالي قبوله حمل الأمانة التي أشفقت منها الكائنات جميعاً ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**﴾[3].

---

(1) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج13، ص485.

(2) القفاش، أسامة، مفاهيم الجمال رؤية إسلامية، أسامة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1417هـ 1996م، ص15.

(3) سورة الأحزاب، الآية: 72.

الفصل الثامن

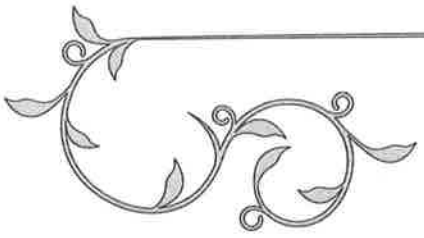

الجمال في الأعمال العبادية

أولاً: لماذا الدعاء؟ ولماذا الجمال؟

ثانياً: الجمال في المناجيات

ثالثاً: الجمال في الأدعية

رابعاً: الجمال في الأدعية الخاصّة بالأشهر

خامساً: الجمال في الصلوات

سادساً: الجمال في الزيارات

الجمال في الأعمال العبادية

أولاً: لماذا الدعاء؟ ولماذا الجمال؟

إنَّ العلاقة المتينة بين العبد وربّه وبشكلها ومنطلقاتها الصحيحة تتشكّل بفعل مجموعة من المكوّنات منها ما هو شرط فيها، ومنها ما هو مكمّل لها، ومن هنا فإنّ الجمال يعتبر مكوّناً بارزاً من تلك المكوّنات التي تضاف إلى مفاهيم حبّ الله والخوف والوجل والرجاء والأنس والتوبة وغيرها من مقدّمات طريق الوصول ومعرفة ربّ العالمين وعبادته.

إنَّ الجمال الذي نتحدّث عنه في تصوّرنا هذا، والذي عبّرنا عنه مكوّناً من مكوّنات العلاقة المتميّزة، هو ما بيّنته أدعية أهل البيت عليهم السلام، والتي وردت كلمة الجمال فيها بالعشرات، وبمعاني جامعة ومتنوّعة تأخذنا لفهم إضافيّ للعبادة ومن زاوية خاصّة لعباده الخواصّ بحقيقة جماليّة رائعة لعلاقة الإنسان الرساليّ مع ربّ العالمين.

نعم، إنّه الجمال في معرفة الله الجميل، وإنّه الجمال في عبادة الجميل، وإنّه الجمال في نيل رضا الجميل.

وبهذا تكون التوبة بوابة الإنابة إليه تعالى، والإستغفار بوابة حطّة الذنوب، والذكر بوابة حبّه، والجمال بوابة متميّزة نرى فيها جميع الأبواب في جمال التوبة، وجمال الحب، وجمال الذكر، وجمال حضرة الجميل، بل جمال وجه الربّ القدّوس.

فالذي لا يستشعر جمال هذا الوجه - ولو للحظات - كيف يمكنه ابتغاء ذلك الوجه؟!.. إذ أنّ الإنسان لا يتوجّه نحو جمال مجهول لديه، ولهذا فإنّ من الصعب قصد القربة الواقعيّة والخالصة لغير العارفين بالله تعالى، إذ كيف يقصد القربة إلى وجه لم يستشعر جماله، وشتان بين قَصْدِ مَنْ شاهد الجمال المطلق، وبين من حُبس في وطن غمرة النفس وعالم الألفاظ والنيّة فحسب.

والدعاء يمثّل السؤال والمناجاة والصلة بالله تعالى، وهو ما حثّت عليه العديد من الآيات

القرآنيّة مؤكّدة على قبول دعوته تعالى، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[1]، فالله القريب المجيب يوجّه دعوة مفتوحة تشمل الخلائق أجمعين، فخطاب ﴿عِبَادِي﴾ شامل لجنس البشر على السواء، كما أنّ الروايات الشريفة تنقل الكثير من التأكيد على أهميّة الدعاء فتارة تشبّهه بسلاح المؤمن وأخرى بالقربان، فقد روي عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: «**عليكم بالدعاء فإنّكم لا تقربون بمثله**»[2]، ولأنّ الدعاء عبادة يحقّق فيها العابد عبوديّته ويعبّر فيها عن خشوعه وخضوعه له تعالى ، أشار القرآن الكريم إلى حقيقة هامّة، فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[3]، وتشير رواية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنّ: «**الدعاء مخّ العبادة، ولا يهلك مع الدعاء أحد**»[4].

ثانياً: الجمال في الصحيفة السجاديّة[5]

وفي سياق بيان الجمال من وجهة نظر إسلاميّة والشواهد والتعابير المستخدمة في أدبيات الإسلام نورد هذا الفصل، والذي يتحدّث عن استعمالات الجمال في الأعمال العباديّة لأهل البيت عليهم السلام من دعاء وصلاة وزيارة، وهذه بعضاً من المناجيات الواردة عن مولانا الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام والتي تعبّر بمعان وإشارات لطيفة عن الجمال، منها:

أ- جمال الصفح وحسن العفو في مناجاة التائبين:

«...اَسْأَلُكَ يا غافِرَ الذَّنْبِ الْكَبِيرِ، وَيا جابِرَ الْعَظْمِ الْكَسِيرِ، اَنْ تَهَبَ لي مُوبِقاتِ الْجَرائِرِ، وَتَسْتُرَ عَلَيَّ فاضِحاتِ السَّرائِرِ، وَلا تُخْلِني في مَشْهَدِ الْقِيامَةِ مِنْ بَرْدِ عَفْوِكَ، وَغَفْرِكَ وَلا تُعْرِني مِنْ جَمِيلِ صَفْحِكَ وَسَتْرِكَ، ... الهي اِنْ كانَ قَبُحَ الذَّنْبُ مِنْ عَبْدِكَ فَلْيَحْسُنِ الْعَفْوُ مِنْ عِنْدِكَ،

---

(1) سورة البقرة، الآية: 186.

(2) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة، ج7، ص30.

(3) سورة غافر، الآية: 60.

(4) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج90، ص300.

(5) انظر: الصحيفة السجاديّة الجامعة، الإمام علي زين العابدين عليه السلام، تحقيق محمد باقر الموحّد الأبطحي، ط2، بيروت، دار الصفوة، 1413هـ، 1992م.

... يا كاشفَ، الضُّرِّ يا عَظيمَ الْبِرِّ، يا عَليماً بِما فِي السِّرِّ، يا جَميلَ السِّتْرِ، اِسْتَشْفَعْتُ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ اِلَيْكَ».

ب- جمال رؤيته تعالى في مناجاة الخائفين:

«... الهي لا تُغْلِقْ عَلى مُوَحِّديكَ اَبْوابَ رَحْمَتِكَ، وَلا تَحْجُبْ مُشْتاقيكَ عَنِ النَّظَرِ اِلى جَميلِ رُؤْيَتِكَ».

ج - حضرة الجمال وجميل الإنعام في مناجاة الراغبين:

«...وَاَبْتَهِلُ اِلَيْكَ بِعَواطِفِ رَحْمَتِكَ وَلَطائِفِ بِرِّكَ اَنْ تُحَقِّقَ ظَنّي بِما اُؤَمِّلُهُ مِنْ جَزيلِ اِكْرامِكَ، وَجَميلِ اِنْعامِكَ فِي الْقُرْبى مِنْكَ وَالزُّلْفى لَدَيْكَ وَالتَّمَتُّعِ بِالنَّظَرِ اِلَيْكَ... اَتَيْتُكَ طامِعاً في اِحْسانِكَ، راغِباً فِي امْتِنانِكَ، مُسْتَسقِياً وابِلَ طَوْلِكَ، مُسْتَمْطِراً غَمامَ فَضْلِكَ، طالِباً مَرْضاتَكَ، قاصِداً جَنابَكَ، وارِداً شَريعَةَ رِفْدِكَ، مُلْتَمِساً سَنِيَّ الْخَيْراتِ مِنْ عِنْدِكَ، وافِداً اِلى حَضْرَةِ جَمالِكَ، مُريداً وَجْهَكَ، طارِقاً بابَكَ، مُسْتَكيناً لِعَظَمَتِكَ وَجَلالِكَ».

د- البلاء الحسن في مناجاة الشاكرين:

«الهي اَذْهَلَني عَنْ اِقامَةِ شُكْرِكَ تَتابُعُ طَوْلِكَ، وَاَعْجَزَني عَنْ اِحْصاءِ ثَنائِكَ فَيْضُ فَضْلِكَ، وَشَغَلَني عَنْ ذِكْرِ مَحامِدِكَ تَرادُفُ عَوائِدِكَ، ... وَلَكَ الْحَمْدُ عَلى حُسْنِ بَلائِكَ وَسُبُوغِ نَعْمائِكَ حَمْداً يُوافِقُ رِضاكَ، وَيَمْتَرِى الْعَظيمَ مِنْ بِرِّكَ وَنَداكَ، يا عَظيمُ يا كَريمُ بِرَحْمَتِكَ يا اَرْحَمَ الرّاحِمينَ».

هـ - كنه الجمال في مناجاة العارفين:

«الهي قَصُرَتِ الاَلْسُنُ عَنْ بُلُوغِ ثَنائِكَ كَما يَليقُ بِجَلالِكَ، وَعَجَزَتِ الْعُقُولُ عَنْ اِدْراكِ كُنْهِ جَمالِكَ، وَانْحَسَرَتِ الاَبْصارُ دُونَ النَّظَرِ اِلى سُبُحاتِ وَجْهِكَ...».

و- حسن الكفاية في مناجاة الزاهدين:

«...الهي فَزَهِّدْنا فيها، وَسَلِّمْنا مِنْها بِتَوْفيقِكَ وَعِصْمَتِكَ، وَانْزِعْ عَنّا جَلابيبَ مُخالَفَتِكَ، وَتَوَلَّ اُمُورَنا بِحُسْنِ كِفايَتِكَ، وَاَوْفِرْ مَزيدَنا مِنْ سَعَةِ رَحْمَتِكَ...».

وغيرها ممّا ورد في الصحيفة السجاديّة لمولانا الإمام علي زين العابدين عليه السلام.

ثالثاً: الجمال في الأدعية [1]

أ- جمال الجلال وجلال الجمال في دعاء المجير[2]:

«...سُبْحانَكَ يا جَليلُ تَعالَيْتَ يا جَميلُ اَجِرْنا مِنَ النّارِ يا مُجيرُ، ...سُبْحانَكَ يا جَمالُ تَعالَيْتَ يا جَلالُ اَجِرْنا مِنَ النّارِ يا مُجيرُ، ...سُبْحانَكَ يا ذَا الْعِزِّ والْجَمالِ تَبارَكْتَ يا ذَا الْجَبَرُوتِ وَالْجَلال...».

ب- الثناء الجميل في دعاء كميل بن زياد[3]:

«...اَللّهُمَّ لا اَجِدُ لِذُنُوبي غافِراً، وَلا لِقَبائِحي ساتِراً، وَلا لِشَيء مِنْ عَمَلِي الْقَبيحِ بِالْحَسَنِ مُبَدِّلاً غَيْرَكَ لا اِلـهَ إلاّ اَنْتَ...».

«اَللّهُمَّ مَوْلايَ كَمْ مِنْ قَبيح سَتَرْتَهُ وَكَمْ مِنْ فادِح مِنَ الْبَلاءِ اَقَلْتَهُ وَكَمْ مِنْ عِثار وَقَيْتَهُ، ... وَكَمْ مِنْ ثَناء جَميل لَسْتُ اَهْلاً لَهُ نَشَرْتَهُ...».

«...اَللّهُمَّ وَمَنْ اَرادَني بِسُوء فَاَرِدْهُ وَمَنْ كادَني فَكِدْهُ، وَاجْعَلْني مِنْ اَحْسَنِ عَبيدِكَ نَصيباً عِنْدَكَ، وَاَقْرَبِهِمْ مَنْزِلَةً مِنْكَ...».

ج - نداء الجمال في دعاء المشلول[4]:

«اَللّهُمَّ اِنّي اَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ يا ذَا الْجَلالِ وَالاِكْرامِ يا حَيُّ يا

---

(1) انظر: القمّي، عبّاس، مفاتيح الجنان، ط1، بيروت، دار المرتضى، 1425هـ، 2004م.

(2) هوَ دُعاء رَفيع الشّأن مَرويّ عَنِ النّبيﷺ نزل به جَبرئيل عَلَى النّبيﷺ وَهُو يصلّي في مَقام ابراهيمعليه السلام، ذكر الكفعمي هذا الدّعاء في كتابيه البَلد الأمين وَالمصباح وأشارَ في الهامش الى ما له مِنَ الفَضْل، وَمِن جُملتها انّ مَنْ دعا به في الايّام البيض مِنْ شَهر رَمَضان غفرت ذنوبه وَلَوْ كانت عَدَد قطر المطر، وَوَرق الشجر، وَرَمل، البر وَيجدى في شِفاء المريض وقضآء الدّين وَالغنى عَنِ الفقر وَيفرّج الغَم ويكشف الكرب.

(3) وهُو من الدّعوات المعروفة، قال العلامة المجلسي : إنّه أفضل الأدعية وهُو دُعاء خضرعليه السلام وقد علّمه أمير المؤمنينعليه السلام كميلاً، وهُو من خواصّ أصحابه ويدعى به في ليلة النّصف من شعبان وليلة الجمعة ويجدي في كفاية شرّ الاعداء، وفي فتح باب الرّزق، وفي غفران الذّنوب، وقد رواه الشّيخ والسيّد كلاهما قدس سرهما وهو مرويّ هنا عن كتاب مصباح المتهجّد.

(4) الموسوم بدُعاء الشّاب المأخوذ بذَنْبه المروي في كتب الكفْعمي وَفي كتاب مهج الدّعوات، وهُو دُعاء علّمه امير المؤمنينعليه السلام شابّاً مأخوذاً بذنبه مشلولاً نتيجة ما عمله من الظّلم والاثم في حقّ والده، فدَعى بهذا الدّعاء واضطَجع فرأى النّبيﷺ في مَنامه وقد مَسَح يَدَه عليه وقال: احتفظ باسم الله الأعظم فإنّ عملك يكون بخَير، فانتبه مَعافى.

قَيّوُمُ يا حَيُّ لا الـهَ الاّ اَنْتَ ...يا جَليلُ يا جَميلُ...».

د- الخلاص بجمال الربّ في دعاء الجوشن الكبير[1]:

وقد وردت كلمة الجمال ومرادفاتها بصورة متعددة في هذا الدعاء الكبير والذي يحمل الكثير من الجلال والجمال.

ففي المقطع الرابع: «يا مَنْ لَهُ الْعِزَّةُ وَالْجَمالُ يا مَنْ لَهُ الْقُدْرَةُ وَالْكَمالُ يا مَنْ لَهُ الْمُلْكُ وَالْجَلالُ يا مَنْ هُوَ الْكَبيرُ الْمُتَعالُ يا مُنْشِىءَ السَّحابِ الثِّقالِ يا مَنْ هُوَ شَديدُ الْمِحالِ يا مَنْ هُوَ سَريعُ الْحِسابِ يا مَنْ هُوَ شَديدُ الْعِقابِ يا مَنْ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوابِ يا مَنْ عِنْدَهُ اُمُّ الْكِتابِ».

وفي المقطع الثالث عشر: «اَللّهُمَّ انّى اَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ يا جَليلُ يا جَميلُ يا وَكيلُ يا كَفيلُ يا دَليلُ يا قَبيلُ يا مُديلُ يا مُنيلُ يا مُقيلُ يا مُحيلُ».

وفي المقطع الثاني والعشرون: «يا مَنْ اَظْهَرَ الْجَميلَ يا مَنْ سَتَرَ الْقَبيحَ يا مَنْ لَمْ يُؤاخِذْ بِالْجَريرَةِ يا مَنْ لَمْ يَهْتِكِ السِّتْرَ يا عَظيمَ الْعَفْوِ يا حَسَنَ التَّجاوُزِ يا واسِعَ الْمَغْفِرَةِ يا باسِطَ الْيَدَيْنِ بِالرَّحْمَةِ يا صاحِبَ كُلِّ نَجْوى يا مُنْتَهى كُلِّ شَكْوى».

وفي المقطع السابع والعشرون: «يا اَحْكَمَ الْحاكِمينَ يا اَعْدَلَ الْعادِلينَ يا اَصْدَقَ الصّادِقينَ يا اَظْهَرَ الطّاهِرينَ يا اَحْسَنَ الْخالِقينَ يا اَسْرَعَ الْحاسِبينَ يا اَسْمَعَ السّامِعينَ يا اَبْصَرَ النّاظِرينَ يا اَشْفَعَ الشّافِعينَ يا اَكْرَمَ الاَكْرَمينَ».

وفي المقطع الثامن والخمسون: «يا مَنْ فِي السَّماءِ عَظَمَتُهُ يا مَنْ فِي الاَرْضِ آياتُهُ يا مَنْ في كُلِّ شَيْءٍ دَلائِلُهُ يا مَنْ فِي الْبِحارِ عَجائِبُهُ يا مَنْ فِي الْجِبالِ خَزائِنُهُ يا مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُهُ يا مَنْ اِلَيْهِ يَرْجِعُ الاَمْرُ كُلُّهُ يا مَنْ اَظْهَرَ فى كُلِّ شَيْءٍ لُطْفَهُ يا مَنْ اَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ يا مَنْ تَصَرَّفَ فِي الْخَلائِقِ قُدْرَتُهُ».

وفي المقطع الرابع والستون: «يا دائِمَ الْبَقاءِ يا سامِعَ الدُّعاءِ يا واسِعَ الْعَطاءِ يا غافِرَ الْخَطاءِ يا بَديعَ السَّماءِ يا حَسَنَ الْبَلاءِ يا جَميلَ الثَّناءِ يا قَديمَ السَّناءِ يا كَثيرَ الْوَفاءِ يا شَريفَ الْجَزاءِ».

---

(1) أنظر: كتابي البلد الأمين والمصباح للكفعمي، وهُو مَرويّ عَن السّجاد عن أبيه عَنْ جدّه عن النبيّ ﷺ، وَقد هبط به جبرئيل على النبيّ ﷺ وهُو في بعْض غزواته وَعَلَيْه جَوشن ثقيل المهُ، فقال: يا محمّد ربّك يقرئك السّلام ويقوُل لكَ: اخلع هذا الجوشَنْ واقرأ هذا الدّعآء فهو أمان لكَ ولامّتك.

هـ - الدفاع الجميل في دعاء الجوشن الصغير[1]:

«...نادَيْتُكَ يا رَبٌّ مُسْتَجيراً بِكَ واثقاً بِسُرْعَة اجابَتِكَ مُتَوَكِّلاً عَلى ما لَمْ اَزَلْ اَتعرَّفُهُ مِنْ حُسْنِ دِفاعِكَ عالِماً اَنَّهُ لا يُضْطَهَدُ مَنْ اَوى الى ظِلِّ كَنَفِكَ ...الهي وكَمْ مِنْ ظَنٍّ حَسَن حَقَّقْتَ وَمِنْ كَسْرِ امْلاق جَبَرْتَ وَمِنْ مَسْكَنَة فادِحَة حَوَّلْتَ وَمِنْ صَرْعَة مُهْلِكَة نَعَشْتَ ...اَللّهُمَّ وَهذا مَقامُ عَبْد ذَليل اعْتَرَفَ لَكَ بِالتَّوْحيدِ وَاَقَرَّ عَلى نَفْسِهِ بِالتَّقْصيرِ فى اَداءِ حَقِّكَ وَشَهِدَ لَكَ بِسُبُوغِ نِعْمَتِكَ عَلَيْهِ وَجَميلِ عادَتِكَ عِنْدَهُ واِحْسانِكَ اِلَيْه».

و- حسن التقدير والتصوير والتدبير في دعاء السِّمات[2]:

«اَللّهُمَّ انّى اَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْعَظيمِ الأَعْظَمِ الأَعَزِّ الأَجَلِّ الأَكْرَمِ ...وَبِحِكْمَتِكَ الَّتى صَنَعْتَ بِهَا الْعَجآئِبَ... وَجَعَلْتَ لَها فَلَكاً وَمَسابِحَ وَقَدَّرْتَها فى السَّمآءِ مَنازِلَ فَاَحْسَنْتَ تَقْديرَها، وَصَوَّرْتَها فَاَحْسَنْتَ تَصْويرَها وَاَحْصَيْتَها بِاَسْمآئِكَ اِحْصآءً وَدَبَّرْتَها بِحِكْمَتِكَ تَدْبيراً فأَحْسَنْتَ تَدْبيرَها...».

ز- معرفة الحُسن في دعاء الحزين[3]:

«...يا من لم أزل أتعرّف منه الحسنى، يا من يغذيني بالنعم صباحاً ومساءً...».

الصلوات الأجمل في دعاء الإفتتاح[4]:

«...اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، اَفْضَلَ وَاَحْسَنَ، وَاَجْمَلَ وَاَكْمَلَ...».

---

(1) قال الكفعمي في هامش كتاب البلد الأمين: هذا دعاء رفيع الشّأن عظيم المنزلة دعا به الكاظم عليه السلام وقد همّ موسى الهادي العبّاسي بقتله فرأى عليه السلام جدّه النّبي صلى الله عليه وآله في المنام فأخبره بأنّ الله تعالى سيقضي على عدوّه.

(2) وهو المعروف بدُعاء الشّبور، ويُستحبّ الدّعاء به في آخر ساعة مِنْ نَهار الجُمعة وَلا يخفى انّه منَ الأدعية المشهورة وقد واظب عليه أكثر العلماء السّلف وهو مَرويّ في مصباح الشّيخ الطّوسي.

(3) وهو دعاء يقرأ بعد الانتهاء من أعمال صلاة الليل، وهو ذو قيمة عالية بروحيّة خاصّة، مروي عن مولانا الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام.

(4) وهو من الأدعية المروية عن صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه يستحب أن يدعو في كلّ ليلة من شهر رمضان المبارك.

رابعاً: الجمال في الأدعية الخاصّة بالأشهر [1]

فمن الأدعية ما ورد في كلّ يوم من رجب والنّصف منه، ودعاء الإفتتاح وأعمال الأسحار في شهر رمضان المبارك، ودعاء الإفتتاح، وما ورد في أعمال شهر شوّال، وفي ليلة عرفة ويومها، فضلاً ليالي الجُمع، وأبرز تلك الشواهد ما يلي:

أ- جمال بهاء الله في دعاء البهاء[2]:

«...اَللّهُمَّ انّي اَسْاَلُكَ مِنْ جَمالِكَ بِاَجْمَلِه وَكُلُّ جَمالِكَ جَميلٌ، اَللّهُمَّ انّي اَسْاَلُكَ بِجَمالِكَ كُلِّه، اَللّهُمَّ انّي اَسْاَلُكَ مِنْ جَلالِكَ بِاَجَلِّه وَكُلُّ جَلالِكَ جَليلٌ، اَللّهُمَّ انّي اَسْاَلُكَ بِجَلالِكَ كُلِّه...».

ب- من أعمال شهر رجب[3]:

«اَللّهُمَّ يا ذَا الْمِنَنِ السّابِغَة، وَالاْلاءِ الْوازِعَة، والرَّحْمَةِ الْواسِعَة، وَالْقُدْرَةِ الْجامِعَة، وَالنِّعَمِ الْجَسيمَة، وَالْمَواهِبِ الْعَظيمَة، وَالاْيادي الْجَميلَة، والْعَطايَا الْجَزيلَة، يا مَنْ لا يُنْعَتُ بِتَمْثيل، وَلا يُمَثَّلُ بِنَظير، وَلا يُغْلَبُ بِظَهير، يا مَنْ خَلَقَ فَرَزَقَ وَاَلْهَمَ فَاَنْطَقَ، وَابْتَدَعَ فَشَرَعَ، وَعَلا فَارْتَفَعَ، وَقَدَّرَ فَاَحْسَنَ، وَصَوَّرَ فَاَتْقَنَ...».

ج- من أعمال شهر شوّال[4]:

وقد روي أن تدعو بهذا الدعاء بعد الفراغ من الصلاة الخاصّة بهذا الشهر، بأن تقول: «يا اَللّهُ يا اَللّهُ يا اَللّهُ، يا رَحْمنُ يا اَللّهُ، يا رَحيمُ يا اَللّهُ ...يا نُورُ يا اَللّهُ، يا رافِعُ يا اَللّهُ، يا مانِعُ يا اَللّهُ، يا دافِعُ يا اَللّهُ، يا فاتِحُ يا اَللّهُ، يا نَفّاحُ يا اَللّهُ، يا جَليلُ يا اَللّهُ، يا جَميلُ يا اَللّهُ...».

---

(1) انظر: القمّي، عبّاس، مفاتيح الجنان.

(2) وهو دعاء عظيم الشّأن مرويّ عن الرّضا عليه السلام قوله: هو دعاء الباقر عليه السلام في أسحار شهر رمضان.

(3) وهو من الأعمال العامّة في شهر رجب التي تؤدّى في جميع الشّهر ولا تخصّ أيّاماً معيّنة منه، وهو دعاء يدعى في مسجد صعصعة أيضاً، وقد ذكر الشيخ الطوسي في مصباحه أنه يستحبّ اَنْ يدعو بهذا الدّعاء في كلّ يَوْم.

(4) هي من اللّيالي الشّريفة، وروي أنّها لا تقل عن ليلة القدر ولها عدّة أعمال منها قراءة هذا الدعاء بعد الفراغ من صلاة تلك الليلة.

د- من أعمال شهر ذي الحجة:

الشاهد الأوّل[1]: «...يا حَسَنَ التَّجاوُزِ، ...اَللّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلى حُسْنِ بَلائِكَ وَصُنْعِكَ، ...وَلَكَ الْحَمْدُ عَلى حُسْنِ بَلائِكَ وَصُنْعِكَ عِنْدى خآصَّةً كَما خَلَقْتَنى فَاَحْسَنْتَ خَلْقى، وَعَلَّمْتَنى فَاَحْسَنْتَ تَعْليمى، وَهَدَيْتَنى فَاَحْسَنْتَ هدايَتي...».

الشاهد الثاني[2]: «فَلَمْ اَزَلْ ظاعِناً مِنْ صُلْبٍ الى رَحِم، فى تَقادُم مِنَ الاَيّام الْماضِيَة، وَالْقُرُونِ الْخالِيَة، لَمْ تُخْرِجْنى لِرَأفَتِكَ بى، وَلُطْفِكَ لى، وَاِحْسانِكَ اِلَىَّ، فى دَوْلَة اَئمَّة الْكُفْرِ الَّذينَ نَقَضُوا عَهْدَكَ، وَكَذَّبُوا رُسُلَكَ، لكِنَّكَ اَخْرَجْتَنى لِلَّذى سَبَقَ لى مِنَ الْهُدى، الَّذى لَهُ يَسَّرْتَنى، وَفيهِ اَنْشَأْتَنى، وَمِنْ قَبْلِ رَؤُفْتَ بى بِجَميلِ صُنْعِكَ، وَسَوابِغِ نِعَمِكَ ... وَلَكَ الْحَمْدُ كَما خَلَقْتَنى فَجَعَلْتَنى خَلْقاً سَوِيّاً رَحْمَةً بى، وَقَدْ كُنْتَ عَنْ خَلْقى غَنِيّاً، رَبِّ بِما بَرَأْتَنى فَعَدَّلْتَ فِطْرَتى، رَبِّ بِما اَنْشَأْتَنى فَاَحْسَنْتَ صُورَتى، رَبِّ بِما اَحْسَنْتَ اِلَىَّ وَفى نَفْسى عافَيْتَنى، ...اَنْتَ الَّذى اَحْسَنْتَ...».

خامساً: الجمال في الصلوات[3]

وفي ما نقل عن أعمال خاصّة بصلوات الأئمة عليهم السلام ما يؤكّد إظهارها لقيمة الجمال الإلهي والحسن الربّاني، نعرضها لكمال الغرض.

أ- صلاة الامام زين العابدين[4] عليه السلام:

دُعاؤُهُ عليه السلام: «يا مَنْ اَظْهَرَ الْجَميلَ وَسَتَرَ الْقَبيحَ يا مَنْ لَمْ يُؤاخِذْ بِالْجَريرَةِ وَلَمْ يَهْتِك السِّتْرَ يا عَظيمَ الْعَفْوِ يا حَسَنَ التَّجاوُزِ يا واسِعَ الْمَغْفِرَةِ يا باسِطَ الْيَدَيْنِ بِالرَّحْمَةِ يا صاحِبَ كُلِّ نَجْوى...».

---

(1) وهو من أعمال اللّيلة التّاسعة، وهي ليلة مباركة وليلة مناجاة قاضي الحاجات، والتّوبة فيها مقبولة، والدّعاء فيها مستجاب، وللعامل فيها بطاعة الله أجر سبعين ومائة سنة، وقد روي أن من دعا به في ليلة عرفة أو ليالي الجُمع غفر الله له.

(2) روى بشر وبشير ابنا غالب الاسدي قالا: كنّا مع الحسين بن علي عليهما السلام عشيّة عرفة، فخرج عليه السلام من فُسطاطه متذلّلاً خاشاً فجعل يمشي هوناً هوناً حتّى وقف هو وجماعة من أهل بيته وولده ومواليه في ميسرة الجبل مستقبل البيت، ثمّ رفع يديه تلقاء وجهه كاستطعام المسكين، ثمّ قال هذ الدعاء.

(3) أنظر: القمّي، عبّاس، مفاتيح الجنان.

(4) وكيفيتها: أربع ركعات كلّ ركعة بالفاتحة مرّة والاخلاص مائة مرّة .

ب- صلاة الكاظم[1] عليه السلام:

دُعاؤه عليه السلام: «الهى خَشَعَت الاصْواتُ لَكَ وَضَلَّت الاَحْلامُ فيكَ وَوَجِلَ كُلُّ شَيء مِنْكَ وَهرَبَ كُلُّ شَيء اِلَيْكَ وَضاقَت الاَشْياءُ دُونَكَ وَمَلاَ كُلَّ شَيء نُورُكَ فَأَنْتَ الرَّفيعُ في جَلالِكَ وَاَنْتَ الْبَهِيُّ فى جَمالِكَ وَاَنْتَ الْعَظيمُ فى قُدْرَتِكَ وَاَنْتَ الَّذى لا يَؤودُكَ شَيءٌ يامُنْزِلَ نِعْمَتى يا مُفَرِّجَ كُرْبَتى...».

ج- صلاة جَعفر الطّيّار (رض)[2]:

«يا مَنْ اَظْهَرَ الْجَميلَ وَسَتَرَ الْقَبيحَ يا مَنْ لَمْ يُؤاخِذْ بِالْجَريرَةِ وَلَمْ يَهْتِك السِّتْرِ يا عَظيمَ الْعَفْوِ يا حَسَنَ التَّجاوُزِ يا واسِعَ الْمَغْفِرَةِ يا باسِطَ الْيَدَيْنِ بِالرَّحْمَةِ يا صاحِبَ كُلِّ نَجْوى يا مُنْتَهى كُلِّ شَكْوى يا مُقيلَ الْعَثَراتِ يا كَريمَ الصَّفْحِ يا عَظيمَ الْمَنِّ يا مُبْتَدِئاً بِالنِّعَمِ قَبْلَ اسْتِحْقاقِها يا رَبّاهُ يا رَبّاهُ يا رَبّاهُ عشراً يا اَللّٰه يا اَللّٰه يا اَللّٰه عشراً يا سَيِّداهُ يا سَيِّداهُ يا سَيِّداهُ عشراً يا مَوْلاهُ يا مَوْلاهُ عشراً يا غياثاه عشراً يا غاية رغبتاه عشراً يا رحمان عشراً يا رحيم عشراً...».

سادساً: الجمال في الزيارات[3]

أ- أعمال زيارة الإمام الحسين عليه السلام:

«سُبْحانَ ذي الْجَلالِ الْباذِخِ الْعَظيمِ، سُبْحانَ ذي الْعِزِّ الشّامِخِ الْمُنيفِ سُبْحانَ ذي الْمُلْكِ الْفاخِرِ الْقَديمِ، سُبْحانَ ذي الْبَهْجَةِ وَالْجَمالِ، سُبْحانَ مَنْ تَرَدّى بِالنُّورِ وَالْوَقارِ، سُبْحانَ مَنْ يَرى اَثَرَ النَّمْلِ فِي الصَّفا وَوَقَعَ الطَّيْرِ فِي الْهَواءِ».

---

(1) وكيفيتها: ركعتان تقرأ في كلّ ركعة الحمد مرّة والتّوحيد اثنتي عشرة مرّة.

(2) وهي الإكسير الأعظم والكبريت الأحمر وهي مرويّة بما لها من الفضل العظيم باسناد معتبرة غاية الاعتبار وأهمّ ما لها من الفضل غفران الذّنوب العظام وأفضل أوقاتها صدر النّهار يوم الجمعة، وروى الطوسي لقضاء الحوائج عن الصّادق عليه السلام قال: صم يوم الأربعاء والخميس والجُمعة فإذا كان عشيّة يوم الخميس تصدّقت على عشرة مساكين مدّاً مُدّاً من الطّعام فإذا كان يوم الجمعة اغتسلت وبرزت الى الصّحراء فصلّ صلاة جعفر بن أبي طالب واكشف عن ركبتيك وألصقهما بالأرض وقل.

(3) أنظر: القمّي، عبّاس، مفاتيح الجنان.

ب- أعمال زيارة الإمام محمّد الجواد عليه السلام :

«...فَصَلِّ عَلَيْهِ اَضْعافَ ما صَلَّيْتَ عَلى وَلِيٍّ ارْتَضَيْتَ طاعَتَهُ، وَقَبِلْتَ خِدْمَتَهُ، وَبَلِّغْهُ مِنّا تَحِيَّةً وَسَلاماً، وَآتِنا في مُوالاتِهِ مِنْ لَدُنْكَ فَضْلاً وَاِحْساناً وَمَغْفِرَةً وَرِضْواناً، اِنَّكَ ذُو الْمَنِّ الْقَديمِ وَالصَّفْحِ الْجَميلِ».

ج- أعمال زيارة أبي الفضل العبّاس عليه السلام :

«...فَنِعْمَ الصّابِرُ الْمُجاهِدُ الْمُحامي النّاصِرُ وَالاَخُ الدّافِعُ عَنْ اَخيه، الْمُجيبُ الى طاعَة رَبِّه، الرّاغِبُ فيما زَهِدَ فيه غَيْرُهُ مِنَ الثَّوابِ الْجَزيلِ وَالثَّناءِ الْجَميلِ، وَاَلْحَقَكَ اللهُ بِدَرَجَةِ آبائِكَ فِي جَنّاتِ النَّعيمِ...».

كلمة ختاميّة

حقيقة الجمال والفنّ حقيقة ربانيّة من عنده تعالى فلا يمكن لأيّ كلمة من كلمات الآدميين أن تحويهما وتعبّر عنهما، غير أنّ المسؤولية تحتّم بمكان ما أن نكتب المقدور والمستطاع عليه لتبيان الموقف الإسلامي من الجمال والفنّ ببعديهما النظري والعملي، بيدَ أنّ الجمال الفعليّ يبقى له تعالى في كلّ شي، وإذا مُنح العبد - من قِبَل المولى - ساعة الأنس واللقاء وأدرك الجمال المطلق الذي يترشّح منه كل جمال في عالم الوجود، لكان ذلك بمثابة زرع الهوى المقدّس الذي يوجب حنين العبد لتلك الساعة، ويوم تجتمع الخلائق أجمعين في عرصاة المحشر فينال العبد شرف النظر إلى وجه الجميل المطلق ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[1]، هذه النظرة إلى الجميل التي لن يحجبها الظلام، فهو: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... ﴾[2].

أخيراً، إنّ الفنّ رسالة كبرى تتصل بالمدد الإلهي لكلّ البشر، فعلى أصحاب الفنون المختلفة أن يعطوا كل ما لديهم من إمكانات فنيّة للحالة الإسلامية المجيدة، بقيمة، ووعي، وإبداع.

---

(1) سورة ق، الآية: 22.

(2) سورة النور، الآية: 35.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

حرف الألف:

1. إبراهيم، زكريّا، فلسفة الفنّ في الفكر المعاصر «دراسات جماليّة»، القاهرة، مكتبة مصر.
2. ابن بابويه، محمّد بن علي، فقه الرضا، ط1، مشهد - إيران، نشر المؤتمر العالمي للإمام الرضا1406 ،عليه السلام هـ.
3. أدونيس، ديوان تنبه أيها الأعمى، ط2، بيروت، دار الساقي، 2005م.

حرف الباء:

4. برتليمي، جان، بحث في علم الجمال، ترجمة عبد العزيز، القاهرة، دار النهضة.
5. الباشا، حسن، عصر النهضة في أوروبا، دار النهضة العربية.
6. البحراني، ميثم، الحدائق الناضرة، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
7. البرناسية «مذهب الفنّ للفنّ»، الندوة العالميّة للشباب الإسلامي، الموقع الإلكتروني لصيد الفوائد: www.saaid.net.
8. البستاني، د.محمود، الإسلام والفنّ، ط1، مشهد - إيران، مجمع البحوث الإسلامية، رمضان 1409هـ.

حرف الجيم:

9. جمعة، د. حسين، في جماليّة الكلمة، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2002م.

حرف الحاء:

10. الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة، ط2، قم - إيران، مطبعة مهر، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، 1414هـ.

حرف الخاء:

11. الخوئي، أبو القاسم، مصباح الفقاهة، ط1 المحققة، قم - إيران، المطبعة العلميّة.

12. الخوئي، أبو القاسم، منهاج الصالحين، ط28، قم - إيران، مطبعة مهر، ذي الحجّة 1410هـ.

13. الخميني، روح الله، المكاسب المحرّمة، ط3، قم - إيران، نشر مؤسسة إسماعيليان، 1410هـ.

14. الخميني، روح الله، تحرير الوسيلة، ط2، النجف الأشرف، مطبعة الآداب، 1390هـ.ش.

حرف الراء:

15. رشاد سعيد، د. نبيل، مدخل إلى علم الجمال، ط1، بيروت، دار الهادي، 2001م.

16. الريشهري، محمّد، العقل والجهل في الكتاب والسنة، ط1، دار الحديث، 2000م.

17. الريشهري، محمّد، ميزان الحكمة، ط1، دار الحديث، 1416هـ.

حرف الراء:

18. زين العابدين، الإمام علي عليه السلام، الصحيفة السجاديّة الجامعة، تحقيق محمّد باقر الموحّد الأبطحي، ط2، بيروت، دار الصفوة، 1413هـ، 1992م.

حرف السين:

19. ستولنيتز، جيروم، النقد الفني، دراسة جماليّة ترجمة فؤاد زكريا، الهيئة المصريّة للكتاب.

حرف الشين:

20. الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط1، بيروت - لبنان، مؤسسة البعثة.

حرف الصاد:

21. الصدوق، من لا يحضره الفقيه، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، ط2، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، 1404هـ.
22. الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، بيروت - لبنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1984م.

حرف الطاء:

23. الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب، مشكاة الأنوار، تحقيق مهدي هوشمند، ط1، نشر ودار الحديث، 1418هـ.
24. الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب، مكارم الأخلاق، ط6، نشر منشورات الشريف الرضي، 1972م.
25. الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن الكريم، ط2، بيروت، لبنان، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 2002م.
26. الطباطبائي البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة، قم - إيران، المطبعة العلميّة، 1400هـ.
27. الطوسي، محمّد بن الحسن، الأمالي، ط1، قم - إيران، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، دار الثقافة، 1414هـ.

حرف العين:

28. عبد الحميد، د. شاكر، التفضيل الجماليّ دراسة في سيكولوجيّة التذوّق الفنّي، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافيّة شهريّة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، ذو الحجة 1421، العدد 267، مارس 2011م.
29. عبده، محمّد، نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام، ط1، مطبعة دار النهضة، قم - إيران، 1412هـ.
30. عبده، د. مصطفى، فلسفة الجمال ودور العقل في الإبداع الفني، ط2، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1999م.

31. العاملي، زين الدين بن علي، منية المريد، ط1، تحقيق رضا المختاري، قم - إيران، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، 1409هـ.

حرف الفاء:

32. فرويد، ليوناردو دافنشي والسلوك الشاذ، ترجمة عبد المنعم الحفني.

33. فضل، د. صلاح، مناهج النقد المعاصر.

34. فضل الله، عبد الكريم، الفنّ في الفقه الإسلامي، ط1، قم - إيران، الأمانة العامة للمؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى المئويّة الثانية لميلاد الشيخ الأعظم الأنصاري قده، مطبعة باقري، خريف 1373 هـ.ش.

حرف القاف:

35. قصّاب، وليد، في الأدب الإسلامي، ط1، دبي، دار القلم، 1419هـ.

36. القمّي، عبّاس، مفاتيح الجنان، ط1، بيروت، دار المرتضى، 1425هـ، 2004م.

37. القفاش، أسامة، مفاهيم الجمال رؤية إسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1417هـ 1996م.

حرف الكاف:

38. الكليني، محمّد بن يعقوب، الأصول من الكافي ، ط3، طهران - إيران، دار الكتب الإسلامية، 1367هـ.ش.

حرف الميم:

39. مطهري، مرتضى، فلسفة الأخلاق، ط2، بيروت، مؤسسة البعثة، 1995م.

40. المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان، الاختصاص، تحقيق علي أكبر الغفاري، السيد محمود الزرندي، ط2، بيروت، دار المفيد، 1993م.

41. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ط2، لبنان، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة الوفاء، 1983م.

حرف النون:

42. النراقي، أحمد، مستند الشيعة في أحكام الشريعة، ط1، قم - إيران، مطبعة ستارة،

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ربيع الأول 1418هـ.

43. الأنصاري، مرتضى، المكاسب المحرّمة، ط1، قم - إيران، مطبعة باقري، المؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لميلاد الشيخ الأنصاري، جمادى الأول 1415هـ.

44. النوري، مستدرك الوسائل، ط2، بيروت - لبنان، الناشر والمحقّق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث عن الإمام علي بن الحسين1988 ،عليه السلام م.

45. النمازي الشاهرودي، علي، مستدرك سفينة البحار، تحقيق وتصحيح الشيخ حسن بن علي النمازي قم - إيران، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة، 1419هـ.

حرف الهاء:

46. الهندي، كنز العمال، لبنان، مؤسسة الرسالة، 1989م.

حرف الياء:

47. اليزدي، محمد تقي المصباح، حقيقة الجمال ومعناه، مجلة الشعائر، باب فكر ونظر، بيروت، العدد الثاني، رجب 1431هـ، حزيران 2010م.

صدر للعلّامة السيّد عبد الكريم فضل الله

1. وسيلة المتفقّهين – العبادات «دورة فقهيّة كاملة مختصرة وغنيّة تمتاز ببيان منهجية الإستنباط»، ط2، بيروت – لبنان، دار الأعلمي، 1435هـ، 2014م.
2. لو بايع الحسين(ع)؟، ط2، بيروت – لبنان، دار المحجة البيضاء، 1435هـ، 2013م.
3. الحجاب.. هي هو.. والرغبة، ط1، بيروت – لبنان، دار الصفوة، 1423هـ، 2002م.
4. قراءة سريعة في مشروع الأحوال الشخصيّة «الزواج والطلاق المدني» ومفاعيلهما، ط2 مزيدة، بيروت – لبنان، دار المدى، 1423هـ، 2003م.
5. تهمة التحريف بين المسلمين الشيعة والسنّة، بيروت – لبنان، دار المدى، 1425هـ، 2004م.
6. منهجيّة ومراحل الإستنباط، بيروت – لبنان، كلمات للطباعة والنشر والتوزيع، 1427هـ، 2007م.
7. طفل الأنبوب والإستنساخ (دارسة فقهيّة) من هو الأب؟ من هي الأم؟، بيروت – لبنان، كلمات للطباعة والنشر والتوزيع، 1427هـ، 2007م.
8. الفنّ في الفقه الإسلامي، ط1، قم – إيران، الأمانة العامة للمؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى المئويّة الثانية لميلاد الشيخ الأعظم الأنصاري رحمه الله، مطبعة باقري، خريف 1373 هـ.ش.

والعديد من المقالات والدراسات واللقاءات الإذاعيّة والتلفزيونيّة.

الفهرست الإجمالي

مقدّمة المعدّ	5
مقدّمة العلاّمة السيّد عبد الكريم فضل الله	9
الباب الأوّل: الفنّ قراءة علميّة وفقهيّة	11
الفصل الأوّل: مقدّمات تأسيسيّة	13
الفصل الثاني: نظريّة الفنّ للفنّ	21
الفصل الثالث: نقد نظريات الفنّ من حيث طبيعته	35
الفصل الرابع: الحاجة للفنّ والجمال	41
الفصل الخامس: لغة الفنّ والإمكانيات والاتجاهات	51
الفصل السادس: الواقع الفنّي بين الواقع والمأمول	63
الفصل السابع: الفنّ دارسة استدلالية وفق المنهج الفقهي	77
الباب الثاني: الجمال قراءة علميّة وإسلامية	99
الفصل الأول: علم الجمال والدراسات الجماليّة	101
الفصل الثاني: اصطلاحات فنيّة وجماليّة	107
الفصل الثالث: الجمال في الفلسفة والأخلاق الإسلاميّة	113
الفصل الرابع: الجمال في القرآن والعقيدة	121
الفصل الخامس: الفطرة والجمال	133
الفصل السادس: الجمال بين البلاء والجزاء	134
الفصل السابع: الجمال بين السمة والبنية	151
الفصل الثامن: الجمال في الأعمال العبادية	157
كلمة ختاميّة	169
المصادر والمراجع	171
صدر للعلاّمة السيّد عبد الكريم فضل الله	177
الفهرست الإجمالي	179
الفهرست التفصيلي	181

الفهرست التفصيلي

مقدّمة المعدّ 5
مقدّمة العلاّمة السيّد عبد الكريم فضل الله 9
الباب الأوّل: الفنّ قراءة علميّة وفقهيّة 11
الفصل الأوّل: مقدّمات تأسيسيّة 13
أولاً: مفهوم الفنّ 15
ثانياً: الفنّ أو أكذوبة الفنّ 15
ثالثاً: الفنّ.. دينٌ جديد ورسول الخلاص !! 16
رابعاً: عيّنات من واقع الفنّ 17
خامساً: قوّة العقل أم الفنّ العفن؟ 18
سادساً: اللصّ وزائر محبّ.. 18
سابعاً: أيُّ فنّ نريد؟ 19

الفصل الثاني: نظريّة الفنّ للفنّ 21
أولاً: قراءة في المفهوم 23
ثانياً: جذور وأصول النظريّة 24
ثالثاً: أبرز أسماء هذه النظريّة وأبرز دعاتها 25
رابعاً: الفكر الذي تتبنّاه نظريّة الفنّ للفنّ 26
خامساً: من رَحِم الفنّ للفن 29
1 - الشكلانيّة 29
2 - البنيويّة 29
3 - المنهج الأسلوبي 30
4 - المنهج السيميولوجي 30
5 - التفكيكيّة 30
سادساً: نظريّة الفنّ للفنّ إلى أين؟ 31
سابعاً: نظريّة الفنّ للمجتمع 32

الفصل الثالث: نقد نظريات الفنّ من حيث طبيعته 35

أولاً: نظريّة المحاكاة البسيطة 37

نقد نظريّة المحاكاة البسيطة 37

ثانياً: نظريّة محاكاة الجوهر 37

نقد نظريّة محاكاة الجوهر 38

ثالثاً: نظريّة محاكاة المثل الأعلى 38

نقد نظريّة محاكاة المثل الأعلى 39

رابعاً: النظريّة الإنفعاليّة 39

نقد النظريّة النظريّة الإنفعاليّة 39

الفصل الرابع: الحاجة للفنّ والجمال 41

أولاً: الشعور بالحاجة إلى الفنّ والجمال 43

أ- التطهير النفسي 43

ب- النفع 43

ج- المتعة الخالصة 43

ثانياً: الفنّ والجمال بين الإلهام والسلوك والعقل 43

أ- نظريّة الإلهام: مدرسة القوّة الغيبية 43

ب- نظريّة السكلوجي: مدرسة التحليل النفسي 46

ج- نظريّة العقل: مدرسة الإبداع الواعي 47

الفصل الخامس: لغة الفنّ والإمكانيات والاتجاهات 51

أولاً: اللغة الفنيّة 53

ثانياً: هل الفنّ للحياة؟ 53

ثالثاً: ما هي إمكانيّات الفن؟ 54

الفنّ وعناصره: 54

أ- التخيّل والصورة 54

ب- العنصر العاطفي 55

ج- العنصر الإيقاعي 55

رابعاً: الفنّ واتجاهاته 55

خامساً: الفنّ ودراسته 55

سادساً: الفنّ وأشكاله 55

أ- الشعر 56
ب- القصّة والحوار: شواهد قرآنية 57
ج- الخطبة: المتقين نموذجاً 57

الفصل السادس: الواقع الفنّي بين الواقع والمأمول 63
تنويه 64
أوّلاً: الفنّ للأطفال 65
أ- الفنّ الكرتوني والعقيدة المنحرفة 65
ب- العنف والعروض الكرتونية 66
ج- العروض الكرتونية والخرافة 66
د- كرتون الحب والغرام 67
ثانياً: الفنّ للمرأة 67
أ- الفنّ التمثيلي والمرأة 67
ب- الأساليب التي اتّبعها أهلُ الفنّ لإفساد المرأة 68
ثالثاً: السيطرة الغربيّة على الفنّ 70
أ- الجريمة في الأفلام الأجنبيّة 70
ب- السيطرة اليهودية على وسائل الفنّ 70
رابعاً: صور من حياة أهل الفنّ 73

الفصل السابع: الفنّ دارسة استدلالية وفق المنهج الفقهي 77
أولاً: مقدّمة 79
ثانياً: تأسيسات أصوليّة وفقهيّة 80
أ- الشبهة المفهوميّة 80
ب- الشبهة المصداقيّة 80
ج- الفرق بين العلّة والمناط 81
ونقصد بالمناط 81
ثالثاً: مسائل للبحث الفقهي 83
أولاً: الغناء واللهو 83
أ- معنى الغناء 86
ب- معنى اللهو 86
ثانياً: الموسيقى 91

ثالثاً: الرسم والنحت والتصوير 92
رابعاً: الرقص والتمثيل 96
خامساً: الشعر والقصّة والأدب 96

الباب الثاني: الجمال قراءة علميّة وإسلاميّة 99

الفصل الأول: علم الجمال والدراسات الجماليّة 101
أولاً: لو كان العالَم بلا جمال!! 103
ثانياً: لفظة الجمال 104
ثالثاً: ما هو علم الجمال؟ 104
رابعاً: دراسة علمي الجمال والفنّ والصلة بينهما 104
خامساً: فروع جديدة في الدراسات الجماليّة 105
أ- الجماليّات البيئيّة 105
ب- جماليّات التلفزيون 105
ج- جماليّات التسويق 105
سادساً: جماليّة الكلمة 106

الفصل الثاني: اصطلاحات فنيّة وجماليّة 107
أولاً: التجربة الجماليّة 109
ثانياً: الإلفة 109
ثالثاً: الإيقاع الجمالي 110
رابعاً: القصف الذهني 110
خامساً: العقل الفنّي 110
سادساً: العقل الجمالي 111
سابعاً: استنتاج في القيم والضرورة والتجربة الجماليّة 111

الفصل الثالث: الجمال في الفلسفة والأخلاق الإسلاميّة 113
أولاً: مقدّمة 115
ثانياً: الجمال بين الحقيقة والوهم 116
ثالثاً: حقيقة الجمال في الفلسفة الإسلامية 117
رابعاً: النزوع الفطري نحو الجمال 119

خامساً: الجمال والأخلاق والجاذبيّة 119

الفصل الرابع: الجمال في القرآن والعقيدة 121

أولاً: الجمال في الأحاديث الشريفة 123

أ- جمال المرأة 123

ب- جمال الرجل 123

ج- جمال السلوك 124

د- جمال العبادات 124

هـ - جمال العلم 125

ثانياً: موقف الإسلام من الجمال 125

ثالثاً: ميادين الجمال 125

أ- ميدان الصبر 125

ب- ميدان الهجر 127

ج- التسريح 127

د- الصفح 128

رابعاً: العقيدة والجمال 129

خامساً: استدلالات قرآنيّة بالعقل والجمال 129

أ- ﴿أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ 130

ب- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ 130

ج- ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ 130

د- ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ 131

الفصل الخامس: الفطرة والجمال 133

أولاً: الجمال وأصل الخلق 135

ثانياً: الجمال الكوني 135

ثالثاً: الجمال الإنساني 136

رابعاً: فطريّة الشعور بالجمال 138

خامساً: مشاهد قرآنية لأثر الجمال على النفس 139

المشهد الأول: موقف قوم موسى عليه السلام من قارون 139

المشهد الثاني: موقف بلقيس مع سليمان عليه السلام 139

المشهد الثالث: قصّة يوسف عليه السلام وامرأة العزيز 139

المشهد الرابع: دعوة زكريّا عليه السلام الصادقة 140

الفصل السادس: الجمال بين البلاء والجزاء 143
أولاً: الجمال وسيلة للإختبار 145
ثانياً: الجمال جزاء العمل الصالح 146
ثالثاً: الجمال الباطني والظاهري 148
رابعاً: النفاق والرياء بين الباطن والظاهر 149

الفصل السابع: الجمال بين السمة والبنية 151
أولاً: سمات الجمال 153
أ- السلامة من العيوب 153
ب- القصد 153
ج- التناسق 154
د- التنظيم 154
ثانياً: الخصائص البنائيّة للجمال الإسلامي 155
أ- الوظيفيّة 155
ب- التفكير 156
ج- العبادة 156

الفصل الثامن: الجمال في الأعمال العبادية 157
أولاً: لماذا الدعاء؟ ولماذا الجمال؟ 159
ثانياً: الجمال في الصحيفة السجاديّة 160
أ- جمال الصفح وحسن العفو في مناجاة التائبين 160
ب- جمال رؤيته تعالى في مناجاة الخائفين 161
ج- حضرة الجمال وجميل الإنعام في مناجاة الراغبين 161
د- البلاء الحسن في مناجاة الشاكرين 161
هـ - كنه الجمال في مناجاة العارفين 161
و- حسن الكفاية في مناجاة الزاهدين 161
ثالثاً: الجمال في الأدعية 162
أ- جمال الجلال وجلال الجمال في دعاء المجير 162
ب- الثناء الجميل في دعاء كميل بن زياد 162
ج- نداء الجمال في دعاء المشلول 162
د- الخلاص بجمال الربّ في دعاء الجوشن الكبير 163

هـ- الدفاع الجميل في دعاء الجوشن الصغير 164
و- حسن التقدير والتصوير والتدبير في دعاء السِّمات 164
ز- معرفة الحُسن في دعاء الحزين 164
رابعاً: الجمال في الأدعية الخاصّة بالأشهر 165
أ- جمال بهائك في دعاء البهاء 165
ب- من أعمال شهر رجب 165
ج- من أعمال شهر شوّال 165
د- من أعمال شهر ذي الحجة 166
خامساً: الجمال في الصلوات 166
أ- صلاة الامام زين العابدين عليه السلام 166
ب- صلاة الكاظم عليه السلام 167
ج- صلاة جَعفر الطّيّار (رض) 167
سادساً: الجمال في الزيارات 167
أ- أعمال زيارة الإمام الحسين عليه السلام 167
ب- أعمال زيارة الإمام محمّد الجواد عليه السلام 168
ج- أعمال زيارة أبي الفضل العبّاس عليه السلام 168

كلمة ختاميّة 169
المصادر والمراجع 171
صدر للعلاّمة السيّد عبد الكريم فضل الله 177
الفهرست الإجمالي 179
الفهرست التفصيلي 181

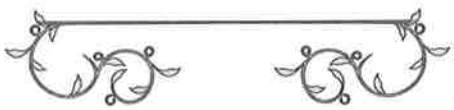

الفن والجمال

الجمال دعوة إلى الفنّ ...
الفنّ دعوة إلى الحب ...
الحب دعوة إلى الحياة ...

بين السَحَر والشفق وعلى ضفاف الينابيع المتدفّقة، ومن قطرات الشلاّلات العذبة، تولد روحُ الفنّان، يرسم بفطرته وجوده السامي، فيحمل على ريشة ناعمة يعايش لحظةَ من جمال، فيرنمَ أنشودة الحياة، فينام السكون، ويستيقظ المفتون، بروعة سحر العالم المكنون، صنعته يدٌ إلهيَّة عظيمة.

إنّ الفنّ والجمال يكشفان الظلم، ويُظهران الإنسان على حقيقته في شتّى المواقف في المسرح، والشعر، واللوحة، والموسيقى، والإنشاد من جهة، والعباد والصلاة والصيام من جهة أخرى، فالفنّ والجمال تعبيرٌ عن وصال بين الربّ وعباده، وبين العباد أنفسهم.

ISBN 978-614-426-345-7

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra net lb
www daralmahaja com info@daralmahaja com